التكملة

من مذكرات حضرة صاحب الجلالة الهاشمية

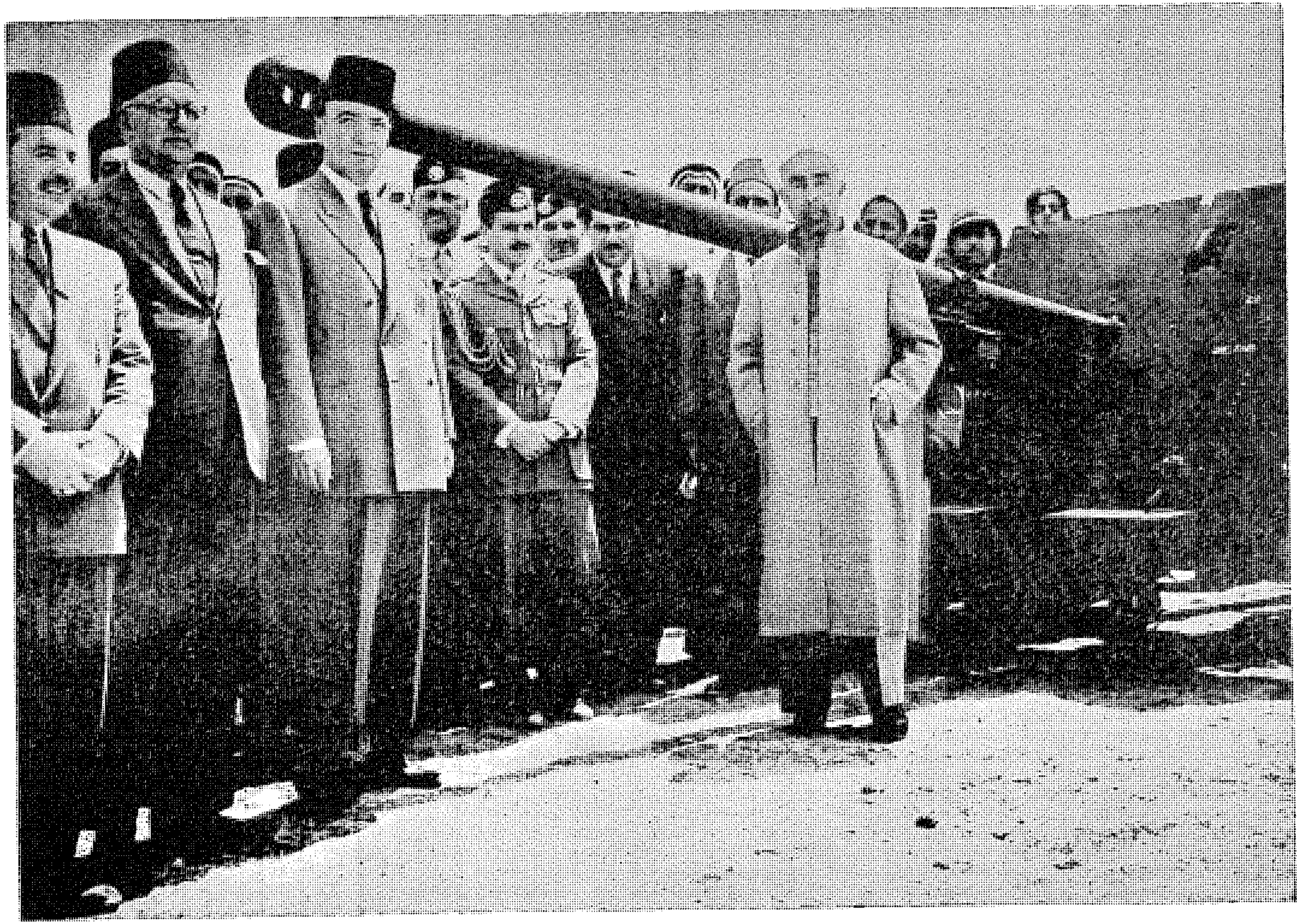
الملك عبد الله بن الحسين



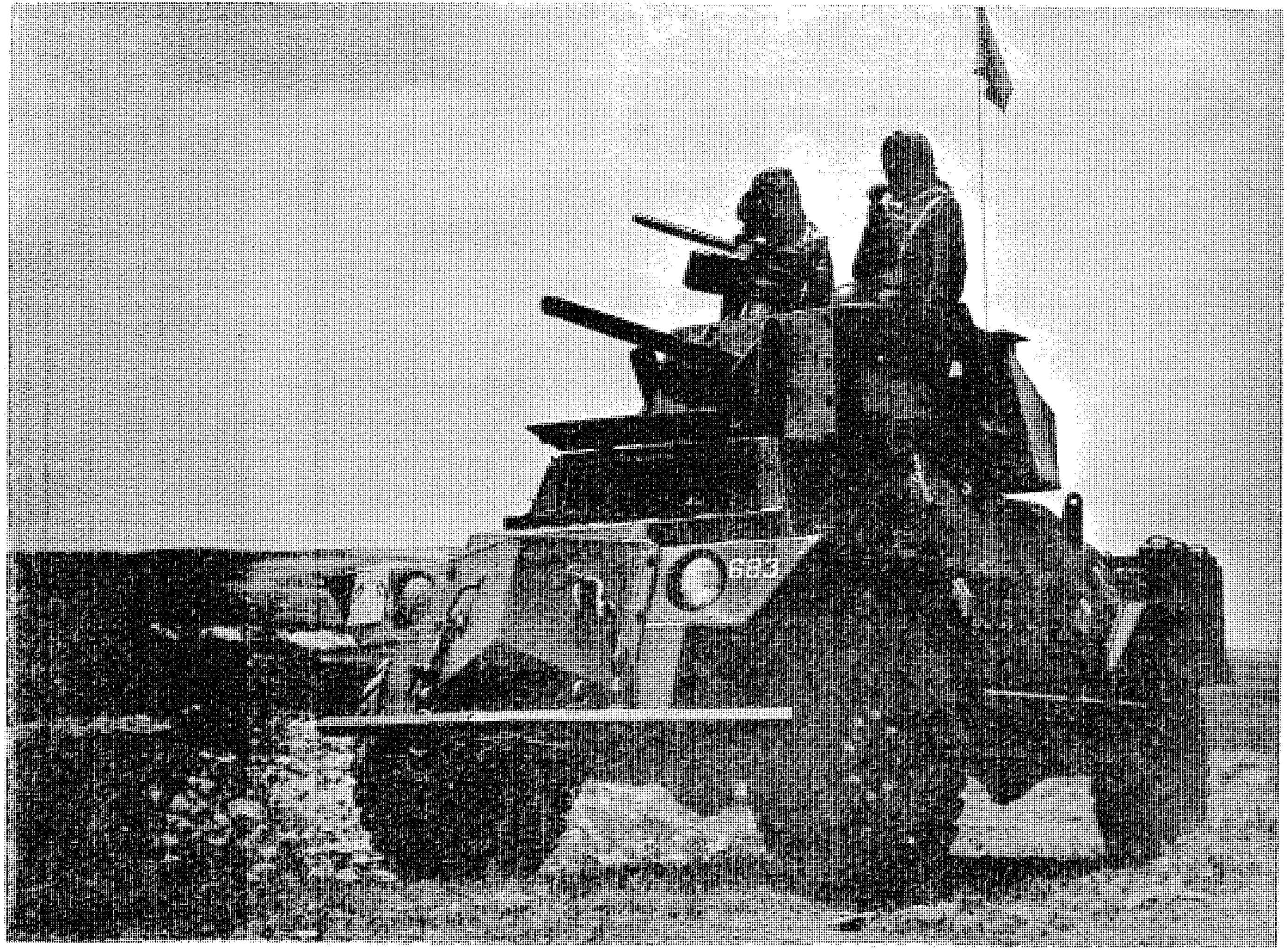
حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله بن الحسين المعظم



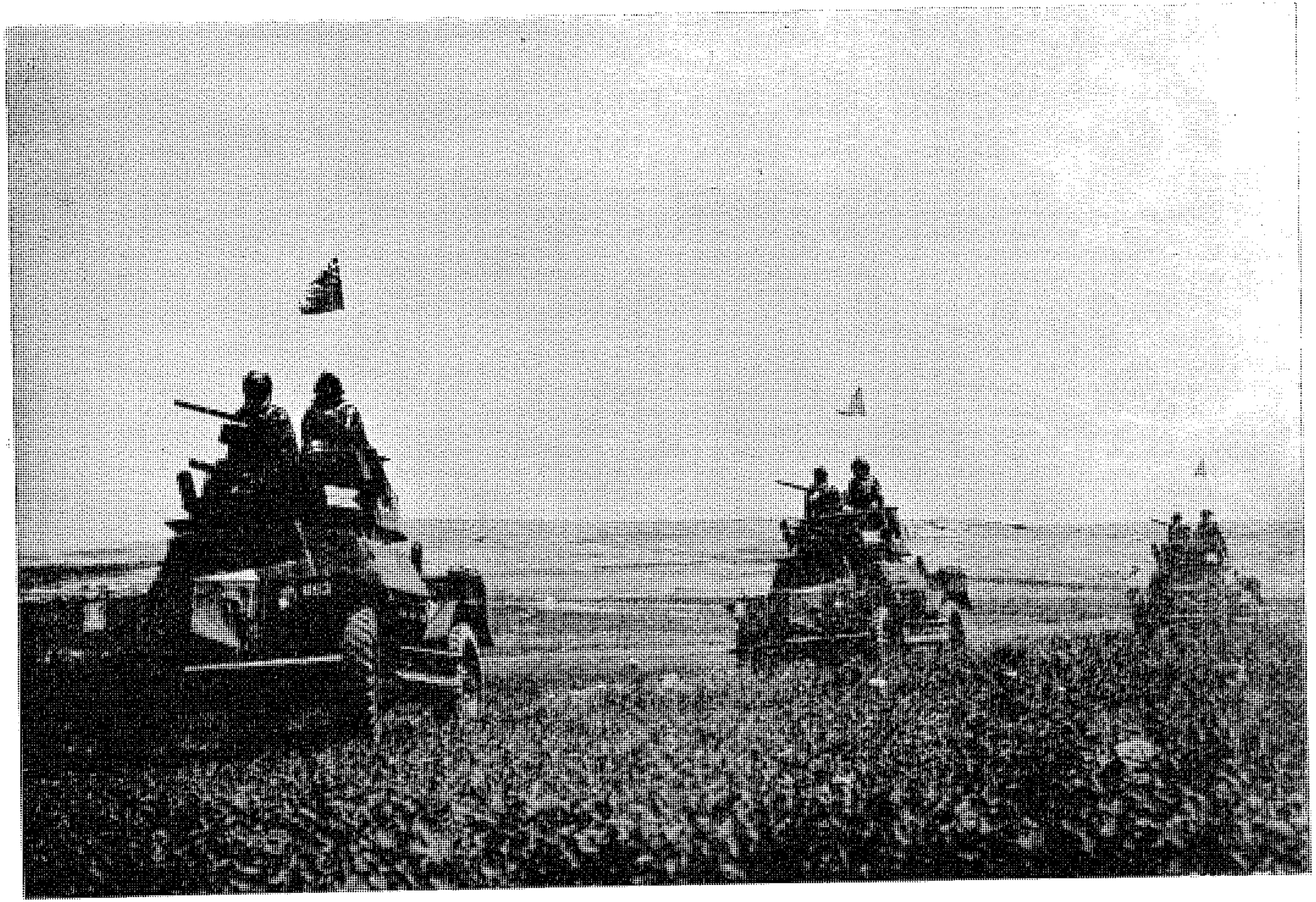
حضرة صاحب الجلالة الهاشمية مع صاحبي الجلالة ملك بريطانيا وملكتها



جلالة قائد الجيش الأعلى يشاهد مناورة المدفعية الأردنية



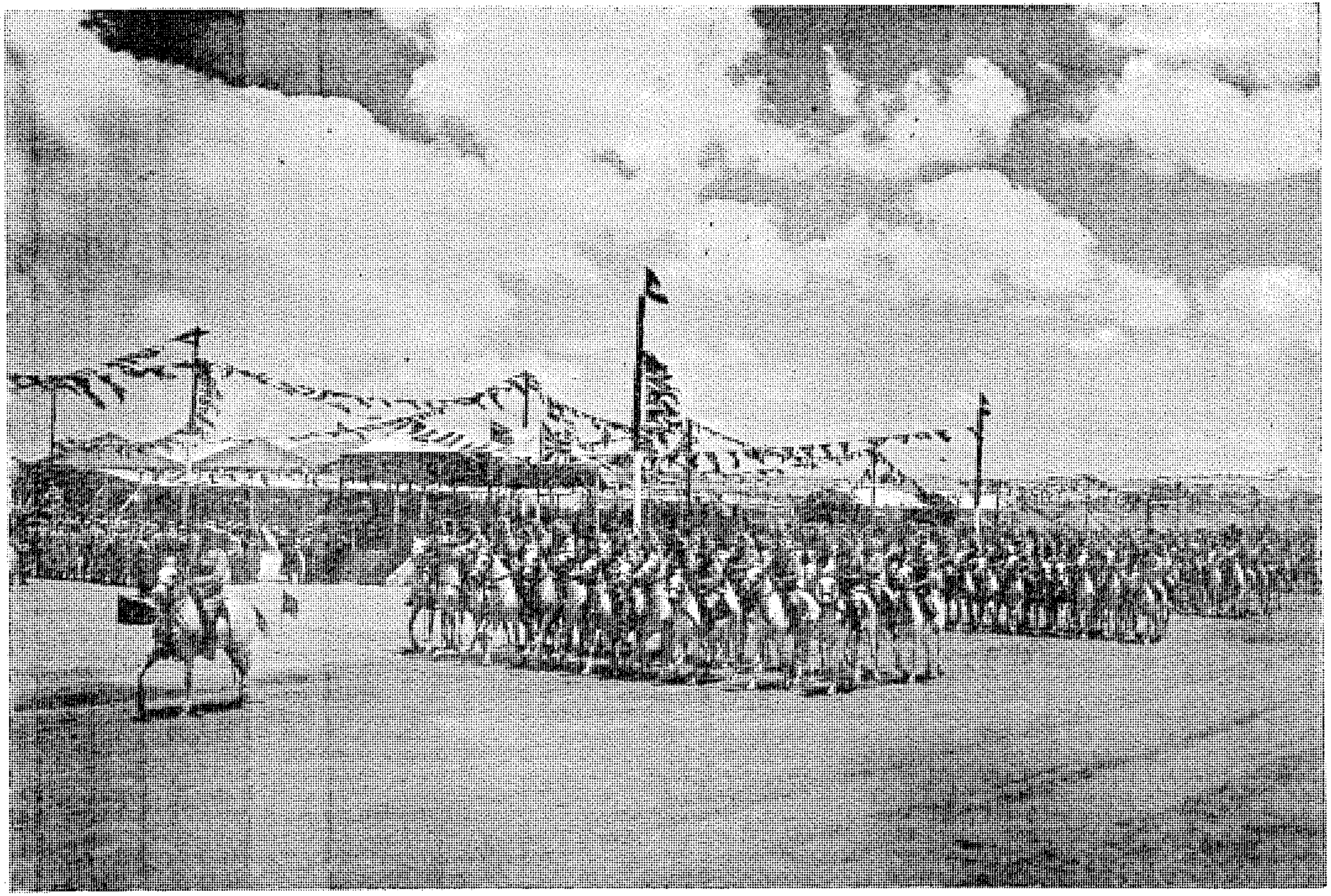
مدرعة ثقيلة من مدرعات الجيش العربي الأردني



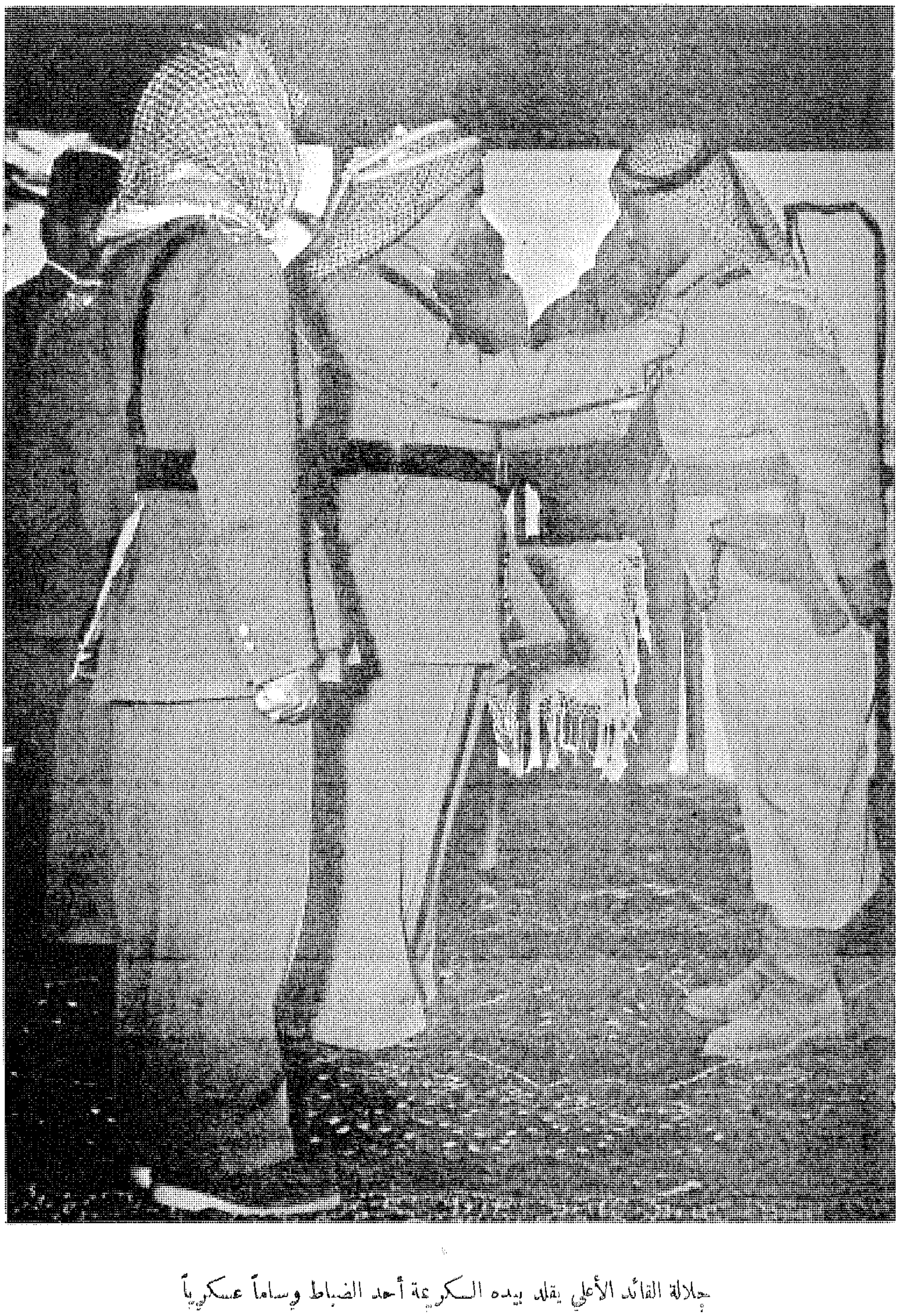
مدرعات أردنية أثناء المناورات



جلالة القائد الأعلى يراقب إحدى مناورات الجيش العربي



كتائب الفرسان في مهرجان يوم الجيش العربي الأردني



جلالة القائد الأعلى يقلد بيده الكريمة أحد الضباط وساماً عسكرياً



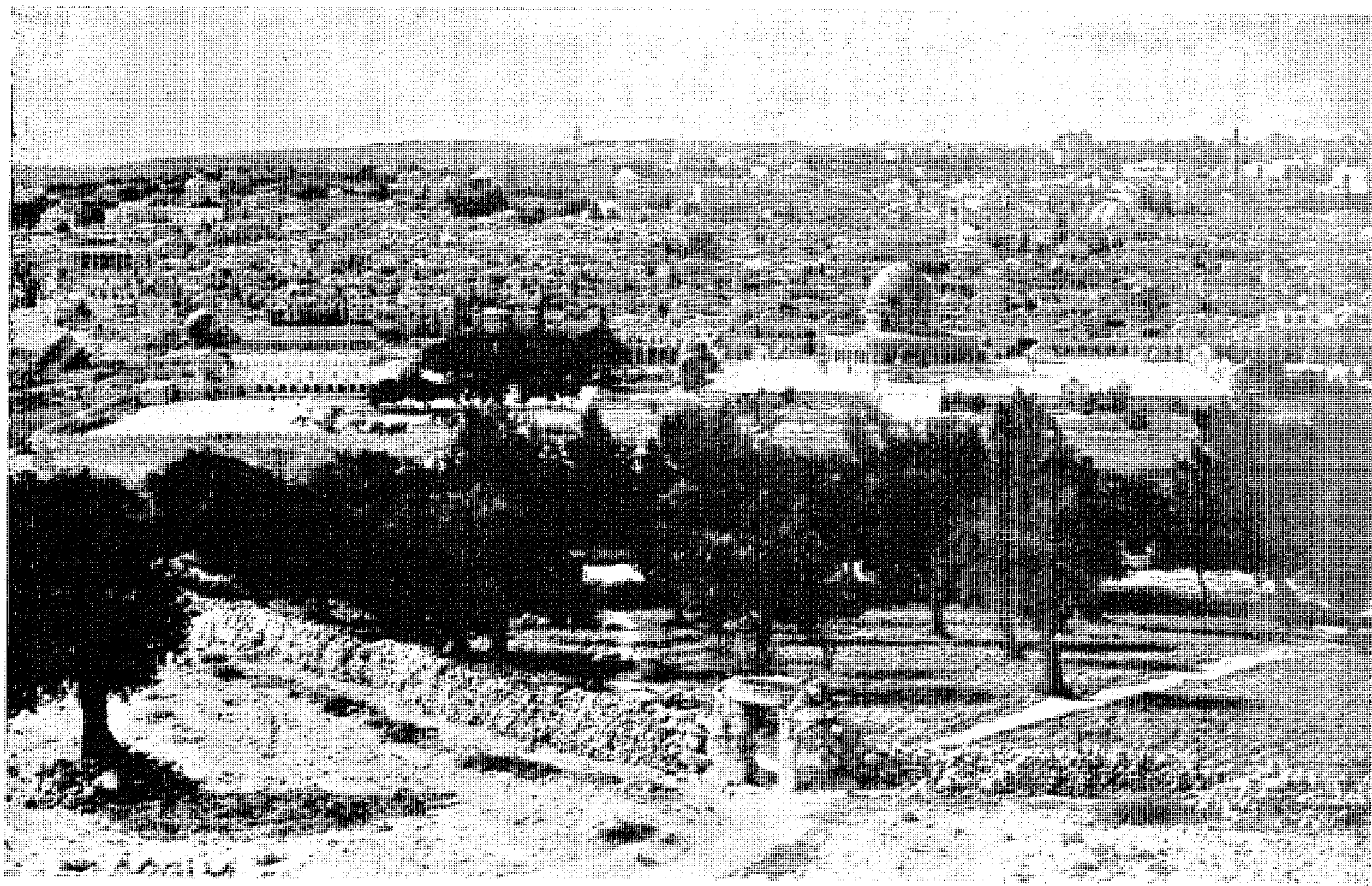
صاحب الجلالة الهاشمية وجلالة امبراطور ايران أثناء زيارة العاهل الهاشمي لطهران



صاحب الجلالة الهاشمية وجلالة امبراطور ايران يشاهدان مناورات الجيش الايراني



صاحب الجلالة الهاشمية يفتتح مجلس الأمة الأردني في دورته التي أقر فيها وحدة ضفتي المملكة



مدينة القدس الشريف التي استبسل رجال الجيش العربي الأردني في الدفاع عنها

التكملة

من مذكرات حضرة صاحب الجلالة الهاشمية

الملك عبد الله بن الحسين

كلمة هيئة النشر

منذ خمسة أعوام ، ظهرت إلى العالم مذكرات هي بن أجل ما قرأ الانسان عن حياة الرجل العظيم حين تكون زاخرة بالوقائع ، حافلة بالعظائم ، وحين تساير في اطرادها حياة الأمة بأسرها و بشتى أقطارها ودولها . تلك هي مذكرات حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله بن الحسين وارث نهضة العرب وعميد بيتهم .

وقد استقبل الناس ، في المشرق والمغرب ، هذه المذكرات بالتهافت والاعجاب ، حتى إذا توالت السنين ووقعت في دنيا العرب أحداث جسام أخرى ، تلفت الناس إلى صاحب المذكرات يسألونه المزيد مما ذكر وكتب وشهد . فتكرم أيد الله ملكه ، وأعز جنده ، وسطر هذه الصفحة الجديدة الخالدة « تكملة المذكرات » .

وهيئة النشر تتشرف بأن تقدم إلى العالم مرة ثانية هذه التكملة ، شاكرة لصاحب الجلالة ما أولى من فضل ، وما قدم من خير ، وداعية إلى الله العلي القدير أن يحفظ جلالته للعرب والاسلام ركناً ركيناً وسنداً مكيناً ، ومناراً للهدى والعلم والنور .

هيئة النشر

عمان في ١/١/١٩٥١

بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسر ولا تعسر ، رب تمم بالخير

المقدمة

لا ينبغي لعاقل ان يكتب شيئاً لا يعرفه ولا يعيه ، ولا أن يتكلم في ما لا يعنيه . فكتاب المذكرات الذي أمليته على كاتبي الخاص هو سوانح لزمن مضى ، كنت أسعى فيه إلى خير أمتي بقلبي ولساني وسناني جهد المستطاع ، ولي في ذلك مرام ، أولها القومية والسمو بها إلى مرتبة الاستقلال الشعبي . وثانيها المحافظة على الصبغة التي بها يسود العرب و بغيرها لا يفلحون . وثالثها تصفية العرب من الذين لا يعرفون العرب ولا يحسنون إدارتهم من أرباب المطامع الشخصية والأهواء التحكمية من العرب أنفسهم ، فلا أخال العرب في وضعهم الحاضر إلا كالرجل المفلوج فلجاً عاماً ، فهو يشعر ولا يقدر على استعادة حركات أعضائه ، ومع ذلك لا يتألم لأن خدر الفلج جعله ولا ألم في أعضائه . وفالج العرب أخلاقهم الحاضرة ، يرضون بالقليل ولا يسعون إلى الكثير ، دأبهم التقليد وهمهم المتعة والتظاهر بالوطنية الخطابية ، واذا سألت أحدهم عن العروبة وتاريخها ، وعن البلاد وحدودها ، وقف وقوف حمار الشيخ في العقبة ، وهذا من سوء طالع الأمة ، وعجلة الزمان تسير دون توقف ، والعرب قد سبقهم غيرهم أشواطاً غير قصيرة . ولربما يجد القارىء في هذه الجمل قسوة ومرارة ، ويستغرب كيف اني اكتبها وأسجلها ، غير اني لم يدفعني إلى هذا القول إلا بقية من أمل في قومي البائسين ، تلك البقية هي صفة الأنفة للوروثة فيهم ، فاذا عير أحدهم بما يستوجب أنفته

ويحرك كبرياءه نفض عنه غبـار الذل والطمع والجبن والبخل ، وسار إلى الأمام محمر الوجه صادق العزيمة ، مشرق الجبين ، وهذا ما أرجو أن أراه فيهم إن شاء الله .

هـذا هو اول ما أمليته على كاتبي الخاص غازي بن راجي الذي أذكره بالرضى لاستيعابه أفـكاري وحسن إصغائه إلي ، مما شجعني على الاسترسال في سرد اقوالي دون هـــوادة او توقف . وكذلك فمن المقتضي ذكر المحب الاعز والصديق الوفي السيد عبد المنعم الرفاعي وزيرنا المفوض اليوم بطهران والباكستان لليد الجيلة في التبويب ، وفي وضع فصول هذا الـكتاب ومراجعته ، ومن المعلوم عني لدى أصدقائي أن نفسي تضيق من مراجعة أي شيء كتبته وفرغت منه ولذلك فهو للفتي بنجاح هذه العملية الشاقة .

وستشتمل مذكراتي هذه على فصول عدة : عن الجامعة العربية وكيف تكونت وكيف يفهمها العرب وما هي في نظر الدول المشكلة منها ، وعن فتنة فلسطين ولمعـة من أخبارها ، والقيادة الموحدة ، غير باحثين عن بعض الأسرار التي لا تفيد اذاعتها إلا المشاغبين الذين لا يريدون بالعرب خيراً ، وعما لحق بالقضية الفلسطينية من الهيئة العربية العليا ومن حكومات الجامعة . وستتناول هذه المباحث مسألة التدويل للاماكن المقدسة ، ومسألة وحدة الضفتين . وسيكون هنالك فصل مستقل عن السياسة العربية البريطانية ، تلك السياسة التي إن فهمت بحقها ووضعت لها الأسس الحقيقية اللائقة لظفر كل فريق بمـا ينفعه ويجديه لمستقبل بعيد . كذلك هنالك فصيل يتعلق بمصر وافريقيا الشمالية ، وكلمة نذكرها عن سوريا والاردن ، وأسأل الله العون والتوفيق في كل هذا ، وان يكون فيه لأمتي عظة وذكرى .

كلمة في العرب عامة

قال البعض ممن قرأ كتاب المذكرات من رجال الانجليز الذين بيني وبينهم صداقة حقيقية : « انه كتاب مرسل ومنثور غير مرتبط بعضه ببعض وليس بالموضح المرمى ولا بالمشير الى ما يجب عمله » .

لقد كتبت الكتاب للعرب ، وليكون الشاهد لي عليهم ، وفيه ما بذل من اجلهم من جهاد ونيات طيبة ، وفيه ذكر الخطيئات والتخطيات الى استلام زمام الأمور من غير خبرة او معرفة ، وهنا بيت القصيد ومحل الضعف . وودت لو انني كنت اعرف اللغة الانجليزية حتى اكتب تكملة مذكراتي اجابة لمن رغب في ان اكتب ما يتمم المذكرات ولا يبقى فيها اي نقص مما يدور في خلدي بالنسبة لأنفسهم او لأصدقائهم في الغرب او لمن يريد عثارهم من اعدائهم ، ولكنني لا اعرف الانجليزية وهذا امر آسف له كل الأسف . على انني عربي وانني اشعر بالملكة مني في لساني متى اردت ان اغضب احداً او ارضيه ، مع اني لا اقول الا الحق في الحالتين . اما السبب الذي من اجله تساءل اصحابي البريطانيون عني : لم لم اتم ما ارادوا ؟ فعلي ان اصرح الآن بأن المانع من ذلك هو المرحلة الزمنية التي لم تصل اليها افكار العرب في الوقت الحاضر ، والدليل على ذلك عدم تحريض احد من العرب اياي — كما تساءل الأصدقاء الانجليز — بل مع الأسف سعى ارباب الأغراض من العرب الى كتم انفاس هذا الكتاب . وعلي ان اتكلم راجياً عفو قومي ان كان في ما سأقول بعض التجريح .

ان العنصر العربي الذي يميل الى الحرية المطلقة هو عنصر لا يطيق الحبس والحصر ،

لذلك تجده يألف الصحارى والبراري ويستبسل في الدفاع عن حوزته بنسبة غير متناسبة ، فهو هناك شجاع ، وخطيب ، وهو هناك شاعر وعاشق ، وربما تظلل نهاراً بعباءته خوفاً من وهج الشمس وابتعاداً عن رمضاء الأرض ، وربما غازل بالليل نجوم السماء ان لم يجد عنده من تغازله من لامعات العيون الدعج والشرف الأثيل من بنات جنسه ، واكثر العنصر العربي من هؤلاء ، فعشائر شمر الذين يقطنون الجزيرة وتصل بهم مراعيهم الى حدود الأكراد والأتراك ويمتدون في الجنوب الى جبلي طي ، وكذلك عشائر عنزة وهم اكثر عشائر العرب عدداً من بلاد الشام الى بلاد الحجاز ثم عمار الشراة والسراة الى بلاد اليمن ، كل هؤلاء كما اغرف ويعرف الناس في وقوف مخيف من واجبات التعليم حتى يصيروا مستقبلين الزمن بما هم اهل له .

وفي سبيل الفائدة نثبت في ما يلي اسماء العشائر الكبرى وتعدادها التقريبي وقد بقيت هذه القبائل على حالتها في القرون الوسطى . لقد ذكرنا قبيلة شمر فهي تبدأ من جبل سنجار في شمال العراق وتنتهي في جنوب حائل — عاصمة امرائهم آل رشيد وقد أبيدت هذه الامارة اخيراً وضمت عنوة إلى جلالة الملك عبد العزيز بن سعود — وتقدر نفوس هذه العشيرة بما يقارب الخمسين الف نفس ، ثم تأتي إلى جنوبها وشرقيها عشيرة مطير — علوه وبريه — (بضم الباء وفتح الراء وسكون الهاء) وهؤلاء الذين نزلوا الارطاوية شرق جنوب حائل حسب تعليمات المذهب الوهابي . ثم مطير العلويين وهم بنو عبدالله ويقدر عدد عشيرتهم بعشرين الف نفس ، ومن شرق هؤلاء تأتي عشيرة هتيم وتصاقب تيماء إلى شرق الحرة — حرة المدينة — وتقدر نفوس هؤلاء بخمسة عشر الف نفس ، ثم تأتي إلى جنوب هؤلاء عشيرة حرب أهل نجد — وهم بين عشيرة عتيبة وشمر وبني عبدالله المذكورين وهتيم — ويقدر عدد نفوسهم بعشرين الف نفس وهم بنو سالم ومسروح وبنو علي ، ثم تأتي إلى جنوبهم عشيرة عتيبة وتقدر نفوس هذه العشيرة بأربعين الف نفس ، ثم تأتي بعد ذلك عشائر

اصغر نسبة وهم بنو الحارث وسبيع والبقوم ، ثم تأتي عشيرة سبيع أهل الجفرة وهؤلاء إلى شرق الحجاز وجنوب العارض ، ثم تأتي بعد ذلك عشيرة شهران العريضة وهم اهل جبل واهل سهل ، تقدر نفوسهم بعشرة آلاف نفس ، ثم عشائر قحطان وهم عدد عظيم ربما كانوا قدر عشائر عنزة إلى حد الربع الخالي . اما عشائر اليمن اهل القرى والمدن وعشائر الحجاز اهل القرى والمدن من حد المملكة السعودية إلى حد الأردن فربما وصلوا في الحجاز إلى مليوني شخص ، وفي اليمن بين الثلاثة ملايين والنصف والأربعة تقريباً لا يزالون على حالة اهل القرون الوسطى ، ولا ننسى عشيرة عنزة وهم ولد سليمان وولد علي وهم عشائر رحل يعدون ثمانية آلاف نفس . واما إمارة الكويت وعشائرها وامارات الخليج الفارسي واهل المحميات على الساحل العربي وهو المحيط الهندي فأولئك لهم مركزهم المعروف وصلاتهم بحكومة الهند البريطانية سابقاً ووزارة المستعمرات في الوقت الحاضر على ما نظن ، فان هؤلاء ايضاً ربما كانوا يناهزون المليون ونصف مليون إنسان .

هذه خلاصة عن العنصر العربي ، وهو العنصر الأساسي ، والعنصر المقعد كما قلنا ، ولم نر اي اهتمام في العراق ولا في سوريا بانزال العشائر واقطاعهم الأرض وحملهم على الحضارة والاشتراك في خدمة اوطانهم ودينهم ، ونخشى ان يكون سبب ذلك ان حكام العصر الحاضر يودون ان يروا الجهالة تغلب في البادية حتى يكون هناك متحكم ومتحكم به ... وهذا داء العرب .

إما سكان المدن فهم لفيف من الذين يتكلمون العربية منذ ظهور نجم العرب في الزمن الغابر ، ومن عرب حقيقيين انسلخوا عن المشاعر الصافية العربية فتحيرت نفوسهم وتوقفت مشاعرهم واصبحوا هم ايضاً يسعون إلى النفع الذاتي والأثرة الشخصية ، غير جادين في شق الطريق لأنفسهم ولقوميتهم في طلب العلم الحقيقي والثراء المغني، ثم بذل ما يملكون من وسائل واموال طائلة لاستعادة العزة والمجد . وانني لا اكون منصفاً إن انا انكرت من كان منهم في اميركا ممن هاجر من لبنان ومن بيت لحم وبيت جالا ورام الله ، فانهم والحق يقال رضوا

منار العرب وذكر العرب في الدنيا الجديدة ، دنيا الجهاد الشخصي والعمل الفردي الذي لا ينكر حرية الانسان وتفاضل البشر بعضهم على بعض فان اولئك اهل للمدح وامل للمستقبل ، من أجل ما تقدم كنت حبست نفسي عما أشار اليه أولئك الأصدقاء في شكل أديب رقيق من النقد البريطاني المعروف .

على ان العرب في الحواضر اصبحت تتداخل فيهم شتى الثقافات ، واصبحت نسبة التعليم في المدن العربية متفاوتة ، واتجه النشء إلى الدراسة في جامعات وكليات مختلفة متفرقة غير متجانسة ، فاختلفت بهذا افكار المتعلمين وتضاربت آراؤهم وتعددت ثقافاتهم . ونحن نرى في وحدة التعليم والتربية والثقافة ضرورة لازمة كالتي نراها في وحدة الأمة واقطارها ، كما ينبغي العمل الحثيث على رفع المستوى العلمي في الحجاز ونجد واليمن إلى مرتبة امم العصر الحاضر ، والاسلام لا يضيق عن التوسع في هـذا المضمار . وكذلك ينبغي لمصر أن تتحرر فيها الأخلاق من التردي وان تصلح فيها سوية الملكية بين الملاك والشعب البائس الفقير ، وان واجب العرب قاطبة ان يبرهنوا للعالم ان لهم مقامهم وكيانهم بين الأمم وان يقفوا اليوم إلى جانب الديمقراطيات في الجدال الحاضر بين الشيوعية المخيفة وبين الديمقراطية المألوفة ، ويؤخروا المشاكل القائمة بينهم وبين الديمقراطيات إلى زمن تكون فيه السلامة مرجوة اكثر من وقتنا هذا الذي يملأ القلوب خوفا بالنسبة لمصير العالم بأجمعه .

العرب
الحاكم والمحكوم عندهم

كانت العرب في جاهليتها ليس لها اي شكل حكومي ، اللهم الا ما كان في اليمن اذ كان به بعض ما يشبه نظام الحكومات حينذاك . وكذلك في جنوب الشام مملكة غسان تحت اشراف قيصر الروم . وفي العراق مملكة المناذرة تحت اشراف دولة فارس . وبمكة المكرمة وعند قريش ما يشابه الجمهوريات ، اذ كانت دار الندوة محلا لتدبير امورهم في امنهم الداخلي والقيام بواجبات الحج ومحافظة الامن اثناءه . وان كانت العرب لا تقتتل داخل حدود الحرم ولا تتشاجر . فكانت ادارة البلاد (بلاد الحج) اكثر نظاما من اي بلد آخر ، حيث النظام ثابت والقرار غير متبدل في الادارة . وقد جاء الاسلام بنور من الله وهديه فأضاء الارجاء وثبت اساس الحق و بينه ، ووضع اساس لا حكم إلا لله ، ولا عمل إلا بالكتاب والسنة ، ولا سلطان غالب على الناس . وبهذا جمع شتات العرب واخضعهم للقانون الالهي والنظام الاسلامي ، ووطد اركان دولتهم وجعلهم قابلين للقيام بما فرض عليهم ، من اعمال دينية واخرى دنيوية ، تصلح بها الاخلاق ، وتستقيم بها معاملة الناس مع رواج في التجارة ، وحسن اتقان في الصناعة والسعي لنشر هذا النور الديني والنظام المدني في العالم كله . فالعرب امة جبلت على الحرية المطلقة ، وان شئت فسمها الحرية البدوية القائمة على اساس قيام الشخص بما يحبه لنفسه ولا يقيده بغيره . وجاء الاسلام فقيده بعقائده ونظامه ، ور بطه بأمامه وهيأه لخدمة البشرية في ثقافة روحية مبنية على شريعة مصدقة لما قبلها من الشرائع السماوية ، ومتممة لنواقصها ، ومهيمنة عليها ، فالمؤمن مصدق بالتوراة والانجيل ، وبصحف ابراهيم ،

و بما جاء بخبره القرآن انه نزل على المرسلين المذكورة اسماؤهم فيه ، فهو خلاصة الأديان السماوية والواضع عنهم الاغلال التي كانت على السابقين ، والأصر الذي كان عليهم . لذلك فالعرب اليوم في سبات يقتضي ان يستيقظوا منه ، وان يرجعوا الى ما اخرجوا من اجله ، فالديمقراطية المرغوب فيها اليوم في الأمم الغربية والتي يقلدها فيها المسلمون ، هي بكمالاتها وحسنها موجودة في الاسلام ، متوفرة فيه ، ولكن ما ذنب الاسلام اذا جهله اهل الاسلام وتركوه ؟ ، وغير هذا فان ما يبشر به الشيوعي الفقير والمحروم موجود بحذافيره في الاسلام ، في فريضة الزكاة ، في الصدقة المفروضة ، في الحق الذي في مال الغني للسائل والمحروم ، في كفارة الدم بتحرير الرقبة قبل الدية ، فأي ديمقراطية احسن من هذه ؟ واي شيوعية تفرض هذا الفرض على الغني للفقير دون اجحاف وظلم للغني باسم الفقير ؟ و بكل اسف فالفقراء في الاسلام كثيرون ، لأن الزكاة معطلة والصدقة غير معمول بها ، وحق السائل والمحروم منكور غير معروف . .

اما الشيوعية فعلى ما يبلغ الاسماع فان اثمها اكبر من نفعها ، فالفقير هناك محروم من كل شيء ، حتى من انسانيته وقد أخذت منه حريته ، وهو مربوط يعلف كالسوائم والبهائم ، هذا ما يبلغنا . وان العالم ليتدرج على ما نراه الى حد سيوقف محالة الحياة — اي بكرة الحياة — عن السير حيث التأميم المخيف في الديمقراطية الاشتراكية ، وهو ايضاً من الامور التي تحبس طموح الشخص العبقري وجهاده ، واذا كان هذا كما ذكر فن من الناس يا ترى الذي يفني قواه العقلية لمصلحة تضيع بين طيات الاشتراكية التأميمية ، او الشيوعية العالمية ؟ يصبح الانسان كالاعجف من حصانين يجران عربة ، فالقوي منهما يسحب حمله وثقل رفيقه . وانا نرى ان الصبح قد اسفر لذي عينين ، وان العرب من واجبهم مد اليد الى بعضهم البعض والتفاهم على ما تركوه من النور المبين والعمل على ايجاد جامعة مع اخوانهم المسلمين في سائر الارض ليكونوا قوة تخدم السلام وتبقي على الايمان والأمان .

الباب الأول

الفصل الأول

الجامعة العربية
نشوءها وتطورها

الجامعة العربية صوت فاه به نوري باشا السعيد وتلقفه مصطفى النحاس باشا وايده مستر انتوني إيدن ، فهو جراب ادخلت فيه سبعة رؤوس — اليمن ونجد والعراق والشام ولبنان ومصر وشرق الأردن — بسرعة عجيبة في وقت كانت فيه سوريا ولبنان تحت الانتداب الافرنسي ، وشرق الاردن تحت الانتداب البريطاني ، والعراق ومصر تحت المعاهدتين الساريتين إلى الآن ، فالدول العربية كانت حينذاك في قيود انتدابية وعهدية ، ما عدا اليمن ونجد فانهما كانتا حرتين . وفي هذا يتجلى للامة العربية التسابق العجيب بين دولها السبع ، سباق بين مقيد ومطلق ، إما قيد احتلال و إما قيد عهد و إما قيد جهالة ، وفي نظر الدول نفسها نعم الحجاب الساتر لما يريدون كتمه ، ونعم التمدح غير المجدي بما يريدون اذاعته . وظن الغريب الراضي عن هذه الجامعة انها ستكون خير اداة لدوام الانتدابات ودوام الأحكام العهدية ، واني تارك لغيري تفسير هذه الظنون .

اما نوري باشا السعيد فهو الذي واكب الثورة العربية الكبرى وهي في مهدها إلى ان وصلت إلى مراحلها الأخيرة ، ثم كان في الشام مع الملك فيصل حتى سقوط الشام ، ثم هو عضو فعال في المؤتمر العراقي يوم اعلان استقلال سوريا ، إنه هو الوزير المعروف .

واما النحاس باشا فكأنه علم في رأسه نار ، ويؤسفنا انا وقفنا و إياه موقفا متبايناً يوم وحدة ضفتي الأردن . والنحاس باشا زعيم في مصر وقليل في معلوماته بالنسبة لدول العرب ، لأن الجدال بين الوفد و بين الأحزاب الأخرى صرفه عما سوى مصر ، وعذره واضح ، وما صادف من عناد وتيارات مختلفة في مصر اضعف من اعصابه ، فظن ان ما يناله في مصر الفينة بعد الفينة سيناله في بلاد العرب ، وعلى كل حال فمصر مصر و بلاد العرب بلاد العرب والنحاس هنالك ليس بالنحاس هنا .

واما كاتم اسرار الجامعة العربية عزام باشا ، فعزام باشا مجاهد عثماني ، ومجاهد طرابلسي ليبي وكاتم اسرار الجامعة العربية ، وفي الوقت نفسه مصري الجنسية وهو ممن لا يتأخر عن تحطيم اي شيء يعترضه في سبيل سلامة مصر ولو كان ابنه ، وهذا واجب على كل رجل يفضل سلامة نفسه ووطنه ، وكما قال الحديث (ابدأ بنفسك ثم بأخيك) ، وعلى اي حال فلا بأس من بلوغ نتيجة طيبة إذا اجتمع رؤساء العرب وتذاكروا في المسائل العربية ، واستعانوا بمواهبهم على تذليل ما يصعب عليهم ، وهذه طريقة نظن انها منجية .

على ان ما يلفت النظر دعوة الجامعة فجأة وارتجالا ومن غير سابق درس إلى مواضيع ترسل بها رؤوس اقلام فيجتمع وزراء الدول العربية لشيء لم يقتلوه درساً وتمحيصاً ، مثال هذا الضمان الجماعي ، فنحن نرى ان هذا الضمان لا يكون نافعاً إلا بافتاء رؤساء اركان حرب هذه الدول بعد اطلاعهم على مبلغ قوات كل دولة واستطاعتها في الضمان والوقوف التام على مبلغ طاقتها المالية وقواها العسكرية وما لديها من اعتدة احتياطية حتى يقول احدهم استطيع ان أضمن او يقول الآخر انت لا تستطيع الضمان .

هـذه ملحوظات يجب ان توضع نصب عيون وزراء خارجية الدول العربية ووزراء الدفاع فيها .

اما انا كرئيس دولة الأردن ومليكها فلا اتضامن إلا مع مصر والعراق ، فيخيل إلي مثلا ان حاجة اليمن إلى الضمان لا تكون إلا في مسائل داخلية ، وقد تحقق ذلك عندما وقع الاعتداء الشائن على الامام يحيى رحمه الله ونصرت الاردن الأمام الحاضر فانتصر ، واما الضمان الخارجي فلا عدو قوي لليمن اليوم ، إذ الحبشة دولة مسالمة ، ومصر دولة من دول الجامعة ، والعربية السعودية دولة من دول الجامعة ايضاً . وخلاف بريطانيا مع اليمن خلاف لا يحتاج إلا إلى تفهم وانهاء ، وما يقال عن اليمن يقال عن العربية السعودية . وقد تحقق من حركات فلسطين ان اليمن لم تكن مستطيعة إرسال قوة ما إلى فلسطين ، وكذلك المملكة العربية السعودية فما بعثت من عشائر كانت عبارة عن قوى منضمة إلى القوى المصرية ولم يصدر باسمها بلاغ واحد في الحركات الحربية حينذاك وهما على حالتهما حتى الساعة فكيف يكون التضامن إذن ؟

واما التضامن مع العراق ومصر فعلى الشروط الآنفة الذكر من وقوف وتمحيص في الاستطاعة المالية والعسكرية وفي الطرق والامكانيات ، وان لا يترك احد الثلاثة صاحبيه الآخرين كما وقع من مصر يوم الهدنة في رودس .

كل هذه القضايا يجب ان تكون نصب العيون المتضامنة . واما الشام ولبنان فبعد الاستقرار وتصفية الجيش السوري وايجاد الجيش اللبناني يفكر حينذاك في امكان التضامن معهما .

الفصل الثاني

القضية الفلسطينية

القضية الفلسطينية وما جرى فيها هي كارثة العرب التي لحقت بهم في زمنهم الأخير ، ومعالجتها كانت على ايد متحدة متعاونة من الجانب اليهودي في الدخول والانشاء والسعي الى التحرر ثم التملك ، مثلما كانت هذه المسألة في الجانب العربي تعالج بأيد وآراء متحدة متفقة على تأييد الهيئة القائمة على سياسة فلسطين في فلسطين ثلاثين عاما دون سعي الى فهم الحقيقة ومرامي اليهود والتشبثات التي كانت الصهيونية تسير عليها ، والصلف القولي في السياسة العربية ، والدفاع بالأقوال لا بالأفعال ، والاستجداء ممن يؤثر وعد بلفور على حق العربي في فلسطين ، وتأييد سياسة المفتي السابق ومن معه حتى بلغ السيل الزبا وذهبت فلسطين ايدي سبا .

ودخلت القضية الفلسطينية في مراحلها الاخيرة ، فأعلنت الدولة المنتدبة قرارها بالجلاء . واستفحل اعتداء اليهود على المناطق والبلدان العربية في فلسطين ، فتم تأليف جيش الانقاذ وعرف ما كان من امره ، ثم كان التظاهر العربي العسكري والقرار المرتجل في ادخال قوات قرر رؤساؤها انها كانت غير كافية ، ووحدة القيادة أسماً لا فعلاً وعـــدم السماح للقائد العام بتفتيش ما قيل انه تحت امرته من قوات . وتم دخول الجيوش الى فلسطين ووقوفها وتحيرها وعدم تهيئها ، حتى تلت ذلك الهدنة في رودس وما عرفه الناس جميعاً من تلك الدخائل . ولولا ضرورة كتمان بعض الخفايا رعاية للاخاء ورجاء في المستقبل لقلنا ما نعرف مع الوثائق الدامغة والبراهين القاطعة ، ولذكرنا ما وقع على فلسطين واهل فلسطين من ساسة فلسطين وممن

ايدهم ظانا فيهم الخير من دول الجامعة العربية ، من تبعات سيقيدها التاريخ بالألم والندم ، فيخجل احفاد هؤلاء الرجال مما فعل اجدادهم .

واستمرت تطورات الحوادث في هذه القضية فترة بعد فترة ، وقد طرأ ونحن نكتب هذه التتمة بعض المؤثرات على موقف الدول المتهادنة في فلسطين من حركات وتحرشات وقعت هنا وهناك ، وقابلها الجانب العربي بهدوء ورزانة . والمفهوم ان الجانب الاسرائيلي يحاول ان يلجأ الى الحركات الاستفزازية ليجر فيها اي جانب عربي الى مقاومة دفاعية يستطيع معها الفريق الصهيوني ان يظهر نفسه امام الهيئة الدولية بأنه الطرف غير المسؤول ، على ان هذا لا يعني ان العرب في موقف يوجب التردد في القيام بمسؤولياتهم على اي شكل كان . ولقد راجت منذ وقت بعيد بعض الاشاعات عن نيات في التسوية هنا وهناك ، ونحن كما قلنا قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ لا نريد العدوان ، ولكن متى دعينا الى الدفاع عن الأوطان سنتقدم ، ولقد فعلنا وكنا صادقين . وقلنا ايضاً « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . وقد كنا نتوقع ايجاد حل للموقف اما بالاتفاق او بالانفراد اذا يئس من حمل العرب على اتباع السياسة الواقعية ، ففي هذا منطق وحكمة . والناس اما ان يكونوا في حرب قائمة وإما في صلح وتسوية ، فعلى غير هذين الحالين لا يستقيم الامر . والعالم يرى في الموقف الحاضر في اوربا ان الدول والشعوب تريد وضع حد لحالة الحرب القائمة بين المانيا والديمقراطيات ، ووضع حد ايضاً للحرب الباردة الموجودة بين الديمقراطيات والشيوعية ، والحرب والسلم امران يتعاوبهما البشر حتى يوم القيامة ، مثلما يأتي الموسم بعد الموسم من صيف وخريف وشتاء وربيع ، وليل يتبعه نهار ، سنة الله في خلقه ، والعاقل من عرف الخطر فدفعه بقوة ، او بحيلة . اما من بقي غير مستعد لحرب ، او غير مستعد لصلح ، فهو الذي ينتظر ساعة خروج روحه من جسده .

وشهد الله انني لم ادخر وسعاً في تنبيه رجال العرب وممثلي حكوماتهم الى ما فيه النفع العام والمصلحة الوطنية وخير فلسطين بالذات ، ولكن الآذان كان بها وقر ، وتوالت الخسائر

والاضرار على فلسطين واهلها . واليك مثلا على ذلك ما ارسلته الى الامير فيصل ا ل سعود والى دولة السيد رياض الصلح يوم وجودهما بباريس في اجتماع هيئة الامم عام ١٩٤٨ :

سمو الأمير فيصل آل سعود ، باريس

أنور أذهان ممثلي دول الجامعة العربية بباريس إلى أننا لم نرفض وجود دولة فلسطينية ولكننا رفضنا قطع الطريق على أهل فلسطين في أن يختاروا لأنفسهم ما يريدون من شكل وحكومة بعد الفتح والانتصار الحاسم . لو قبلت دولة فلسطينية في عموم فلسطين قبل الانتصار لسخر مني الناس ، و إنني مع ذلك أخشى أن ترضى دول المنظمة بهذه الدولة كما رضي بعضها بدعيات اليهود فيقع التقسيم . أنا مع العرب إن استمروا في الحرب أو إن بقوا على الحالة الراهنة،ثم تأتي المرحلة الاخرى وهي مقابلة قرار المنظمة لا مقترحات برنادوت. فاذا قالت المنظمة كلمتها فعلى الجامعة أن تجتمع ثم تقرر ما ينبغي عمله فعلا لا قولا . تحياتي لكم جميعا .

عمان في ١٩٤٧/٩/٣٠

عبدالله بن الحسين

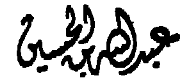
صاحب الدولة رياض بك الصلح ، باريس

إن تقرير الكونت برنادوت لم يكن أبداً موضوعاً لبحثنا ، ولكن تعلمون ان الدولة الأردنية بالاتفاق مع دول الجامعة خاضت غمـــار الفتنة الصهيونية لخضد شوكة الصهيونيين والسعي للخروج من المشكلة بأقل ما يمكن من الخسائر مع تذكيركم بخطابنا الذي فهنا به على مائدة الغداء اول زيارتكم لنا ، و بينما نحن ماضون في شرق الاردن في مهمتنا الحربية متحملون أثقل الاعباء وحدنا و إذا بالجامعة تقرر إقامة دولة واهنة لعموم فلسطين وتقيمها في غزة للتخلي عن المسؤوليات ، كما يقول الناس ، و إن هذا العمل معناه قبول التقسيم وتنفيذه . أما نحن فلا نزال وحدنا متكلين على الله في القيام بالواجب ، ومتى رأينا الجيوش العربية من غربنا في مصر ومن شمالنا في سوريا ولبنان تتهيأ وتتقدم لتنفيذ العزم ولا تبعث

كل واحدة منها بلواء وما اشبه غير عاطفة على من تشتت من أهل فلسطين ، ولا ناظرة اليهم ، ثم تستمر بالتحريض على غير فائدة ، وتنتظر فتح فلسطين على يد دولة واحدة ، متى رأينا ذلك كنا في الطليعة كدأبنا دائما .

الشتاء أقبل واللاجئون في العراء ، مسؤولية هؤلاء على الجامعة وعدم انهاء القضية يعود على الدول العربية التي لم تبذل مجهوداً عسكرياً بل ظلت تتفرج وأن أفعال جيشي وثباته تكفي لدحض مفتريات الناس . تحياتي لكم ولاخوانكم جميعاً .

عمان في ١٩٤٨/٩/٣٠



هذا ، ولقد كان طلب تدويل القدس غاية في الغرابة وعدم الاتزان في الغايات الوطنية وتفريطاً في الحقوق والمصالح العربية وتسليماً بالمقدسات إلى السيادة الدولية ، وإخراجاً للقدس من الحوزة العربية ، فكان علينا ان نقف في الدفاع عن عروبة المدينة المقدسة موقف الحزم والصلابة ، وأن نقاوم التدويل بمختلف أشكاله وصوره .

وما قضية الاعتراض على وحدة الضفتين إلا من عمل الهيئة العربية العليا المصرة على ما تعمدت ، وهي ليست لها أية خبرة بسياسة الناس والدفاع عن الاوطان والمسؤولية التي يتصدر لها الرجال في داخل البلاد وفي أمورها الخارجية ، وقد أعلن دولة توفيق باشا أبو الهدى رئيس مجلس الاعيان الاردني في بيانه الذي القاه في مجلس الامة يوم الاثنين ٢٤ نيسان ١٩٥٠ ما كان من اتفاق بينه — يوم كان رئيساً للوزارة — وبين المسؤولين في الحكومات العربية آنذاك على مسألة ضم ذلك القسم من فلسطين إلى مملكتنا الاردنية الهاشمية . وبذلك حمينا الجزء الباقي من أن يضيع في اليد اليهودية . وننشر فيما يلي أول خطاب لنا تلي في مجلس الامة الموحد وما تلاه من اتخاذ المجلس قراره الاجماعي التاريخي بوحدة الضفتين ورفع صيغة ذلك القرار الذي اقترن بتصديقنا الملكي ، ورد مجلس الامة على خطابنا .

خطاب العرش

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الأعيان ، حضرات النواب

أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأصلي وأسلم على المبعوث بدعوة الحق والتوحيد خير من نطق بالضاد وحمل راية الحق والجهاد وعلى آله الطيبين وصحبه الاكرمين .

أما بعد فانه لمن دواعي الغبطة أن أفتتح لأول مرة في تاريخ الحياة الدستورية الاردنية مجلس الامة وقد جمع بين ضفتي (الاردن) منبثقاً عن إرادة شعب واحد ووطن واحد وأمل واحد . وإنها لخطوة مباركة ، هذه الخطوة إلى الوحدة تخطوها الضفتان ، ويقبل على تحقيقها الشعب صاحب الشأن ، محمولا على التمكين لوحدته القومية وعزته الوطنية ومصالحه المشتركة . وإن الاردن لكالطائر ، جناحاه شرقه وغربه ، ومن حقه الطبيعي أن يجتمع شمله ويتلاقى أهله ، بل أنكم لتعلمون يا أعيان الامة ونوابها أن وحدة الضفتين حقيقة قومية وواقعية . أما أنها حقيقة قومية فثابت في تشابك الاصول والفروع والتحام المصالح الحيوية ووحدة الآلام والآمال ، وأما أنها حقيقة واقعية فثابت في قيام روابط اتحادية وثيقة بين الضفتين منذ عام ١٩٢٢ أي منذ ثمانية وعشرين عاماً . تلك الروابط الملحوظة المهمة التي اشتملت على وحدة النقد والدفاع المشترك والارتفاق في الموانئ وتوطيد أمن الحدود وتسهيل الحواجز الجمركية والسفرية على أساس وحدة المصالح والتبادل الثقافي والتشريعي مما جعل لكل من الضفتين مركزاً ممتازاً خاصاً في الضفة الاخرى . حتى إذا تخلت بريطانيا العظمى عن انتدابها

على فلسطين المقتطعة من الوطن الأم وعصفت عواصف النزاع العربي — الصهيوني كان لا بد من تثبيت الحقوق العربية ودفع العدوان بتعاون عربي عام . و إن ما حصل بعد قبول الهدنة الدائمة من خلاف في وجهات النظر كان سببه إغفال الواقع (الاردني — الفلسطيني) بسبب دعايات وتوجيهات خاصة كانت حكومتي وما زالت تعمل على معالجتها بالحكمة والصبر وروح المودة والثقة والصراحة التامة والاخلاص المطلق ، سواء أفي مجلس جامعة الدول العربية أم بالاتصالات الخاصة مع الدول العربية الشقيقة ، معتمدة في هذا على أن للعرب جميعاً من سلامة الفطرة ونفوذ النظر وشعور الحمية ما يكفي لاقالة العثار ووضع كل أمر في نصابه . و إن حكومتي ترى أن قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية الصادر في ١٢ نيسان ١٩٤٨ لم يعد قائماً مذ قبلت الدول العربية للهدنة الدائمة وأتباعها هذا بقبول قرار التقسيم الصادر عن هيئة الامم المتحدة ، على خلاف ما ورد في قرار اللجنة السياسية المذكور . ونحن مع ترحيبنا بفكرة الضمان الجماعي والتعاون الاقتصادي على الاسس السليمة بين الدول العربية ، نرى أنه لا ضمان لأي شعب عربي إلا بوحدته الحقيقية واجتماع أجزائه المشتتة حيثما كان ذلك ممكناً ومردوداً إلى الارادة العامة وغير ناقض لعهد أو ميثاق . و إن الوحدة لأول أماني الثورة العربية ، بل هي عمود الاستقلال ووسيلة النضال ، ومن تخلف عنها تخلف عن كيانه ومقومات سلطانه . وإن الواقع (الاردني — الفلسطيني) ليحتمها ، بل ليعتبرها وسيلة حياته الاقتصادية ودفاعه عن نفسه بوصفه الجبهة الأمامية المترامية الحدود ، والمجال الحيوي لسكانه العرب منذ أقدم العهود . و إن المواثيق العربية لتوجب شد أزره في كل ما يفسح له مجال الحياة ووسائل العزة والكرامة وتحقيق الاماني المشروعة .

حضرات الاعيان ، حضرات النواب

إنه لمن دواعي الاطمئنان حقاً أن لا تيأس الامة من روح الله ، وأن تزيدها الحوادث صقالاً و إيماناً بنفسها ، و إن في إقبال الامة على الانتخابات النيابية العامة إقبالاً إجماعياً في كل من الضفتين لدليل الشعور بذاتية واحدة ، قد استجابت انفسها واجتمعت مبرمة في

هذه الاستجابة وحدتهـــا الضرورية ، ومدركة ما في استمرار التجزئة وتباين الادارات والتشريعات إلى أمد غير محدود — بعد قبول الهدنة الدائمة — من أضرار مادية ومعنوية تنال من هذا الوطن الواحد ولا يحسها إلا أهل البلاد وأصحابها الشرعيون. على أن إبرام أمر الوحدة ، وقد تم فعلاً باجتماع هذا المجلس الموقر ، الممثل للضفتين ، مع عدم المساس بالتسوية النهائية التي تحق حق العرب في أمر فلسطين ، سيعزز في الواقع دفاع الامة الواحدة عن عدالة قضيتها . وأن حكومتي ستظل ماضية في الدفاع عن الحقوق العربية وأماني البلاد في التسوية النهائية متلمسة ما وسعها ذلك توفير أسباب التعاون التام مع الدول العربية الشقيقة في كل ما يعزز هذه الحقوق والاماني مقدرة قيمة السلام الذي لن يكسب بغـير الثقة والاطمئنان لرجحان كفة الحق و إقامة العلائق الدولية على أساس العدل والنزاهة والوفاء بالعهود .

حضرات الاعيان ، حضرات النواب

لقد أعلنت حكومتي أنها ستحافظ، في السياسة الخارجية، على العلائق الودية مع الدول الصديقة جميعا ، كما أنها ستهدف في المنهاج الداخلي إلى تعديل الدستور كما سبق أن وعدنا وذلك على أساس المسؤولية الوزارية البرلمانية ، مع حفظ التوازن بين السلطات الثلاث ، التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية . وتنجيزاً لهذا سيصار في أثناء هذه الدورة إلى تأليف لجنة خاصة من الخبراء والأكفاء الحقوقيين لوضع مشروع التعديلات الدستورية على أحدث الاسس وأوفاها بمصلحة الامة . و إن حكومتي لعاملة في الوقت ذاته على توحيد القوانين ، مع الاصلاح المرتجى في المجال الثقافي والاداري والاقتصادي، والسعي الحثيث لتوفير أسباب العمل، وتحسين وسائل الزراعة ودعم الاقتصاد الوطني بصورة خاصة والعناية بمسألة اللاجئين على الوجه الذي يفسح أمامهم مجال العمل ويحفظ لهم الكرامة. وستقدم لمجلسكم الموقر في هذه الدورة فوق العادة مشروعي قرار الوحدة وقانون الموازنة السنوي لعام ١٩٥٠ — ١٩٥١ للنظر فيهما و إقرارهما بالطريقة الدستورية .

و إنني باسم الله العلي العظيم ، أفتتح هذه الدورة فوق العادة لمجلس الامة الجديد ، وأدعوكم إلى الشروع في العمل ، سدد الله خطاكم ووفقنا و إياكم بمنه وكرمه ، آمين .

القرار التاريخي
بوحدة الضفتين

نص القرار

تأكيداً لثقة الأمة ، واعترافاً بما لحضرة صاحب الجلالة عبدالله بن الحسين ، ملك المملكة الاردنية الهاشمية ، من فضل الجهاد في سبيل تحقيق الاماني القومية ، واستناداً إلى حق تقرير المصير ، و إلى واقع ضفتي (الأردن) الشرقية والغربية ووحدتهما القومية والطبيعية والجغرافية ، وضرورات مصالحهما المشتركة ومجالهما الحيوي ، يقرر مجلس الأمة الأردني الممثل للضفتين في هذا اليوم الواقع في (٧ رجب سنة ١٣٦٩ الموافق لتاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٠) ويعلن ما يأتي :

أولاً — تأييد الوحدة التامة بين ضفتي الأردن الشرقية والغربية واجتماعهما في دولة واحدة هي (المملكة الأردنية الهاشمية) وعلى رأسها حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله بن الحسين المعظم وذلك على أساس الحكم النيابي الدستوري والتساوي في الحقوق والواجبات بين المواطنين جميعاً .

ثانياً — تأكيد المحافظة على كامل الحقوق العربية في (فلسطين) والدفاع عن تلك الحقوق بكل الوسائل المشروعة وبملء الحق وعدم المساس بالتسوية النهائية لقضيتها العادلة في نطاق الأماني القومية والتعاون العربي والعدالة الدولية .

ثالثاً — رفع هذا القرار الصادر عن مجلس الأمة بهيئتيه: الأعيان والنواب، الممثل لضفتي الأردن إلى حضرة صاحب الجلالة المعظم واعتباره نافذاً حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي .

رابعاً — إعلان وتنفيذ هذا القرار من قبل حكومة المملكة الأردنية الهاشمية حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي وتبليغه إلى الدول العربية الشقيقة والدول الاجنبية الصديقة بالطرق الدبلوماسية المرعية .

رد مجلس الأعيان

يا صاحب الجلالة

إن مجلس الاعيان ليحمد الله على ما يسّر له من وضع أسس الوحدة والاستجابة لداعي المصلحة بتوحيد الضفة الغربية من الاردن مع أختها الضفة الشرقية واجتماعهما في مملكة واحدة يظللها التاج الهاشمي المفدى ، و إن هذه الوحدة إنما كانت صدى إرادة قومية ورغبة وطنية كما كانت الوقاء من كوارث علمتنا التجارب إلى أي مدى تذهب ، مما لو سبق حدوثه وكانت للناس الجرأة الضرورية للقيام بمثله فيما مضى لتجنب العرب هذا المصير . و إن المجلس يرى لزاماً عليه أن يشكر لصاحب الجلالة الملك المعظم ، ربان السفينة المجرب ، ما أيده الله به من نفوذ بصيرة ، ومن بصر ثاقب يشق طريقه للسفينة بين عواصف هوج وأهواء ونزعات .

ثم إن المجلس ليرفع لصاحب الجلالة الهاشمية أخلص الشكر مقروناً بالاعجاب والاكبار للروح الطيبة التي تجلت بحرص جلالته أيده الله على أن لا يكون قرار الوحدة ماساً بأية تسوية نهائية لقضية فلسطين يكون للعرب فيها خير وعزة ، وبحرصه كذلك على التعاون مع الدول العربية في نطاق الاماني القومية ، كما يذكر بكثير من الاعتزاز والامتنان وعد جلالته حفظه الله بتعديل الدستور مؤملا أن تأتي التعديلات المرتقبة بما يساير الحاجات الاجتماعية ويمهد السبيل الصالح لتحقيق الاهداف القومية . و إن ما تجلى في خطاب العرش السامي من سياسة رشيدة وخطط حكيمة ليقابله مجلسنا بالتأييد الكامل لانه يجمع بين البصر بالامور والشجاعة في مواجهة الحقائق .

يا صاحب الجلالة

إن المجلس ليرى لزاماً عليه أن ينوه بما تجلى في تصاريح جلالتكم وعلى رأسها خطاب العرش الكريم من العناية والتوفر على مصلحة اللاجئين والتماس المنفذ لهم مما يعانون والعمل على إسعافهم بما يتسع له الامكان في شأن رد غربتهم ورد املاكهم عليهم . والمجلس بعد هذا يرى أن بلادنا في حاجة قصوى إلى تحقيق رغبات صاحب الجلالة الهاشمية باحداث نهضة اقتصادية شاملة في سائر الميادين ونهضة تعليمية وأخرى اجتماعية حتى تستطيع البلاد أن تسير على قدميها وأن لا تتحامل على نفسها أو غيرها ، و إن في طليعة السعي لهذه النهضة تحقيقاً لما قرب و بعد من الاهداف الاقتصادية والعمرانية . و إن المجلس ليعود فيشكر صاحب الجلالة الهاشمية لحرصه على اتباع هذه الخطة في إيثار العمل على وحدة الصفوف والدعوة إلى التسامح عما سوى ذلك، عسى أن يأتي يوم على العرب يشعرون فيه أنهم، بعد أن كانوا أشتاتاً أمواتاً ، لم يبلغوا ما بلغوا من العزة بعد البعثة إلا بالوحدة . والله المسؤول أن يوفق جلالتكم إلى إتمام ما بدأتم به من جمع شتات الامة العربية والسير فيما أخذتم من سبيل ، وأن يحفظكم للبلاد ملاذاً وركناً وللعرب مثابة وحصناً .

رد مجلس النواب

يا صاحب الجلالة

إننا نحن نواب الامة الممثلين لضفتي المملكة ، الغربية والشرقية ، المجتمعين لاول مرة في مجلس واحد تحت تاج واحد ، قد استمعنا بكل فخر واعتزاز لخطاب العرش السامي . وانه ليشرفنا ان نرفع لجلالة مليكنا المفدى خالص الشكر وعظيم الامتنان على التهنئة الملكية السامية بثقة الشعب فينا والترحيب الملكي الكريم بنا في مجلس الامة الجديد .

يا صاحب الجلالة

ان مجلسنا لفخور بأن يكون له شرف ابرام اول قرار لتوحيد قطرين شقيقين تحت قيادة جلالتكم ، آملين ان تكون هذه الخطوة المباركة فاتحة عهد جديد في حياة الأمة العربية ، وبادرة خير لتحقيق اهدافها واماني في الوحدة والسيادة والاستقلال .

وانه لمن دواعي الاطمئنان والثقة ان يتم هذا التوحيد دون ان يكون له اي مساس بحقوق العرب في فلسطين بأكملها او اي اثر على التسوية النهائية لقضيتها . بل يجيء هذا التوحيد معززاً للدفاع عن عدالة قضيتها وحافزاً لمضاعفة الجهود من اجل الوصول الى تسوية عادلة تحفظ الحق والكرامة بالتعاون مع الدول العربية الشقيقة .

يا صاحب الجلالة

اننا لنرحب بفكرة الضمان الجماعي بين الدول العربية وبكل خطوة تخطوها هذه الدول في سبيل تقاربها وتعاونها واتفاقها ، على ان لا يكون لهذا الضمان الجماعي اي تأثير على

رغبة الشعوب العربية في جمع اجزائها ولم اقسامها المشتتة في وحدة صحيحة قائمة على الارادة الشعبية الحرة وضمن نطاق المصالح العربية المشتركة .

يا صاحب الجلالة

إنه ليسرنا ويبهجنا — نحن نواب الامة — أن يتفضل جلالتكم ويحقق رغبة شعبه المخلص فيمنحه (عن طريق مجلس الامة) كامل حقوقه الدستورية في التشريع وتحمل المسؤوليات وبذلك يتحقق حكم القانون واستقلال السلطة القضائية وتنظيم العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية على أساس المسؤولية الوزارية أمام البرلمان .

وإنه يا صاحب الجلالة لعطف ملكي كريم أن يتفضل جلالتكم فيستعجل هذه الرغبة التي هي أمنية كل أردني ويأمر في هذه الدورة باتخاذ الاجراءات الضرورية لتأليف لجنة خاصة من الخبراء واكفاء الحقوقيين لوضع مشروع التعديلات الدستورية على أحدث الاسس وأوفاها ، ملتمسين أن يكون لمجلس الامة ممثلون في هذه اللجنة وذلك تسهيلا لتحقيق الرغبة الملكية السامية .

يا صاحب الجلالة

إننا على الرغم مما مر بنا في فلسطين من كوارث ، وفي وطننا العربي من نكبات ونكسات ، لم نيأس من إمكان بعث هذه الامة بعثاً جديداً . وإن ما تفضلتم به جلالتكم من إنتفاء روح اليأس والهزيمة لاقوى مطمئن لشعبكم واكبر مشجع له على السير قدماً تحت قيادة جلالتكم الحكيمة لتحقيق الاهداف الوطنية والآمال القومية . وإننا لنثني الثناء العاطر على جلالتكم لعطفكم الابوي على اللاجئين والعمل على إنقاذهم مما هم فيه من يأس وضنك في العيش وضيق في الحياة .

يا صاحب الجلالة

إننا إذ نعلق الآمال على الاصلاح المرتجى في المجال الثقافي والاداري والاقتصادي ، نؤكد رغبتنا في أن ينحى في الاصلاح الثقافي منحى يضع البرامج التعليمية على أسس قومية قوية تتمشى مع روح العصر وتحقق التعليم المهني على أوسع الوجوه وأنتجها .

كما نرغب أن يقوم الاصلاح الاقتصادي على أساس التوازن – قدر الامكان – بين التصدير والاستيراد وذلك بزيادة الانتاج القومي وتحديد الاستيراد ضمن مصلحة البلاد ، راجين أن يأخذ هذا الاصلاح بمبدأ الضرائب التصاعدية ورفع مستوى المعيشة للفلاح والعامل ، والسعي لوضع تشريع اجتماعي عادل ينظم شؤون العمل والعمال ويحفظ حقوقهم في المملكة وذلك حالما يتيسر ذلك . أما بشأن الاصلاح الاداري فرغبتنا أن يستهدف خدمة الشعب ورعاية مصالحه ويقوم على احترام حقوق المواطنين وحماية حرياتهم مع مراعاة الكفايات العلمية والاعتبارات الخلقية في وظائف الدولة .

وختاماً يا صاحب الجلالة نبتهل إلى الله عز وجل أن يحفظ جلالتكم ذخراً للعروبة ، ويوفقنا – في ظل جلالتكم – لخدمة الامة والوطن .

وعلى ذلك ، ومما تقدم يتجلى الحق ويتبين للناس أن قضية فلسطين قضية جهالة وعناد وسعي وراء منافع لاشخاص وضعوا أيديهم في عنق اوطانهم حتى كادوا ان يزهقوا روح الوطنية تماماً ، هذا ما نقوله ونشهد به بين يدي الله ونعلم انه سيغضب الكثير ، ولكننا من الذين لا تأخذهم في الله وفي الحق لومة لائم .

بعض الوقائع والحركات العسكرية في فلسطين

إنا و إن قلنا أنه لا ينبغي لنا التطرق إلى بعض الاسرار حفظاً لما يجب أن يراعى بالنسبة للعرب لان الحق لجماعات الدول العربية ولا يحق لجهة واحدة البحث فيما يعني الجميع ، وحفظاً للاخاء أيضاً ، ولكن من حقنا أن نوقف الرأي العام العربي على ما لا يضر من المباحث في هذا الباب. من جملة ذلك ما دار بين صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي و بيننا ، وكذلك وقائع اللد والرملة وحوادث بئر السبع وتراجع المصريين والهدنة في رودس ومسألة المثلث . ونعتقد أن لنا كل الحق في ذكر هذه النواحي ، وبمناسبة التدويل أيضاً سنذكر عن القدس الشريف ما لا ينبغي تركه لعلو مرتبة هذا البلد المقدس في نظر الاسلام وما جاء عن فضائله ، وانه يخص كل أمة مسلمة لما أريق بسببه من دماء عربية وكردية وشركسية وتركية طيلة التاريخ الاسلامي . وعليه فنبدأ بذكر المكالمة التي جرت بين دمشق وعمان بعيد حوادث (١٥) مايس الابتدائية ، ولقد دعت دمشق عمان وقيل أنها لبعض أفكار ستنقل عن رئيس الجمهورية المشار اليه ، وكان أمين الجامعة عزام باشا في حضرة الرئيس حينذاك . أما المكالمة فقد كانت تشير الى لزوم التوقف عن التقدم في فلسطين وتقديم ما يمكن لاهل فلسطين من أسلحة وأموال حتى إذا كانت الثورة العربية هناك قد اكتملت ثم احتاجت إلى مساعدات فعلية عندئذ يكون الاشتراك الفعلي ، وقد شككت حينذاك لوجود عزام باشا بدمشق في أن الامر لا بد وأن يكون موعزاً به اليهم من مصر ، أو لظن سيء قام في رؤوسهم من ناحيتنا ، فأحبوا أن يعرفوا حقيقة غرضنا ، وعلى كل حال كانت لحظة بالنسبة

إلي من أمر ما مس روحي منها من وجل وجزع ، والجيش في جدال عنيف في القدس ، وقد تقدم حتى وصل إلى السهل من ناحية باب الواد واللد والرملة ، ومن نواحي طولكرم والعفولة ، فكان الجواب منا الرفض الشديد لهذا التكليف الغريب ، وقد طلبت أمين الجامعة نفسه فكلمته بنفسي محتجاً على أن تلوح فكرة كهذه في رؤوسهم ، وبالطبع فقد وافقوني حالاً على لزوم المضي في الامر معتذرين بأن الاستعدادات لا تمكن عاجلاً من شد أزر النواحي الاخرى ، فكان ما كان من توقف القوات السورية في نواحي سمخ ، ثم في الخذلان الذي أصاب موقف تلك القوات بصفد والناصرة . أما القوات اللبنانية فلم تبد أية فعالية سوى الدفاع مع ضياع قرى لبنانية من أصل لبنان ، وبالنتيجة اضطر الموقف القيادة في التساند الحقيقي بين القوات العراقية والاردنية واعتبار القوتين متمماً بعضهما لبعض ، فأبقيت قوة جزئية على يسار القوات السورية وحركت قوات العراق من نواحي المفرق إلى عمان وعن طريق جسر دامية وجسر اللنبي فنابلس ، وقد أنقذ وصول هذه القوات مدينة جنين والمثلث كله من خطر ماحق ، ثم تقدمت وهي تتكامل شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى رأس العين وصاقبت المستعمرات الكبرى اليهودية تاركة التلال الرملية الحمراء وراء ظهرها . وأدخلت قوات المناضلين الاردنية إلى اللد والرملة ، وكان انتظار تقدم الجيش المصري من الساحل إلى ناحية يافا ، كما أنه كان من المنتظر قضاء ذلك الجيش على المستعمرات اليهودية في النقب كله ، ولكن شيئاً من ذلك لم يقع بل كان التلكؤ والتوقف مع إخفاء حقائق الحوادث وعدم ذكر حقيقة عدد الالوية والطوابير المصرية ثم عدد الجيش المتطوع أو المجاهدين الذين جاء بهم عزام باشا ووظفوا في جبهة الخليل — بيت لحم واتصلوا بالجيش الاردني في ناحية القدس وعدم السماح بتفتيش تلك القوات بالنسبة لوحدة القيادة التي تركت على عاتقنا اسماً لا فعلا . هذا وما هو أدهى منه مصادرة باخرة الاسلحة والاعتدة التي تحركت من السويس إلى العقبة ، وقد صادرتها كما قلنا قوات مصرية بحرية عادت بها إلى السويس وأفرغت حمولتها بالرغم عن الاحتجاجات والرجاء الملح منا إلى جلالة الملك فاروق والحكومة المصرية ، ولما

يئسنا من الحصول عليها بعد أن قيل لنا أنها وزعت على القوات المصرية فلنا يد رجل يمنى أفرغت ما تملك إلى اليد اليسرى ، فضاعت تلك المهمات ، وعند وقوع الهدنة الاولى لم يكن بيد الجيش العربي الاردني من أعتدة الاسلحة الثقيلة ما يكفي لحرب يومين اثنين . ولقد كان سفرنا إلى مصر في تلك المدة من الهدنة وعرضنا ما نعلم وسألنا المرحوم النقراشي باشا عن نيات مصر ، فأكد لنا الاخلاص للقضية والدوام في النضال حتى التوفيق التام ، وعرضنا على المقام الملكي في مصر الرغبة في أن نزور مركز القيادة المصرية العليا في فلسطين بصفتنا القائد العام ، فأشير إلى أن هذا لا يناسب ، ما دام أن جلالته لم يزر الجبهة بنفسه ، ثم عرضت لزوم زيارة جلالته للقدس الشريف ، فذكر خطر الطيران ، فأعدت التكليف بأن ذلك ممكن عن طريق السويس — العقبة — عمان ، فأبديت أعذار أخرى ، ولو وقعت لكانت حركة موفقة تفضي الى أن نستولي على القدس بأجمعها بوثبة من الجيوش الملكية الثلاثة ، بوجود الوصي المعظم وجلالة الملك فاروق ووجودنا ، وعلى كل حال لم نتوفق لا لاستعادة العتاد المصادر ولا لتملك ناصية الحرب بكامل قوة القيادة الموحدة ، ولا بدعوة جلالته لتنفيذ الغرض المنوه به ، أعني لم تكن قوات الدول الاربع من حيث الامر والنهي تابعة لوكيل القائد العام المسؤول عن كل الجيوش وهو اللواء نور الدين باشا قائد القوات العراقية . ثم حدث السفر إلى نجد وكانت الجامعة في حالة اجتماع بمصر ، وقد وقعت الاوامر منا إلى رئيس وزرائنا حينذاك توفيق باشا أبو الهدى بأن لا يقبل نقض الهدنة الاولى مهما كان ، ولو استقالت الحكومة ، قبل أن تمتلىء يد الجيش بما يقتضي من الاعتدة الثقيلة والخفيفة ، ولكن بكل أسف أبلغت نقض تلك الهدنة ساعة وصولي إلى بغداد في طريق عودتي من الرياض ، وقد أخبرني بها فخامة السيد الباججي ، وقد حصل لي من الكرب والهم ما أعجز عن وصفه ، وبالنتيجة كانت الحركات اليهودية ضد اللد والرملة فاضطرت قيادة العراق وقيادة الاردن إلى أن لا تخوضا وهما قابلتان غمار واقعة حربية عامة بأعتدة ناقصة ، واحتفظتا بما في اليد لصد الهجمات المعادية مهما امكن من أي ناحية تصادفها ، وهذا اكبر دليل على سوء إدارة الجامعة

العربية وما يلحق دولها من أتباع سياستها الخاطئة الفاشلة ، ثم كانت الهدنة الثانية ، ثم لم تلبث اسرائيل أن نقضتها بالتجاوز المباغت ضد القوات المصرية في النقب من ناحية الفالوجة وبئر السبع وقد فصلت القوات المصرية بأن دخلت بين الفالوجة وبئر السبع ، وبين بئر السبع وغزة ، فأصبحت قوات الجيش المصري منعزلة بعضها عن بعض ، ومن أغرب الامور وقوع هذا ولم تبلغ القيادة الموحدة عن شيء مما وقع ، غير أن أمين الجامعة كان يطالب بواسطة الاذاعة العلنية لزوم تقدم القوات العربية من كل ناحية إنقاذاً للموقف . وفي تلك الاثناء حضر إلى عمان المرحوم النقراشي باشا ، وحضر أيضاً رئيس الوزارة السورية جميل مردم بك ومعه الزعيم حسني بك الزعيم ، وكان حضرة صاحب السمو الملكي الوصي المعظم ورئيس الاركان العراقي الفريق صالح صائب باشا حاضرين ، وفي تلك الليلة في المجلس المنعقد مع جملة من ذكرت أسماؤهم مضت فترة فوق الخمس دقائق دون أن يتكلم أحد بكلمة ما ، ولقد أشار سمو الوصي المعظم بأن أبدأ الحديث فصعب علي أن أقول أي كلمة بعد ما أصاب الجيش المصري ما أصابه ، فقلت والكلام يوجه إلى رئيس الوزارة المصرية أنتظر الكلام من دولته ، فقال ما هو مذكور الآن بالكلمة تتبع الكلمة « الله ! إنني لم آت لاقول ولكنني أتيت لاسمع » ، فقلت له أعتقد أن الكلام لدولتكم في الموقف اليوم بعد أن ضاعت بئر السبع وحوصرت الفالوجة ، فقال من يقول هذا ؟ إن القوات المصرية كما هي في أماكنها » . فقلت له لعل الخبر لم يبلغ مسامع دولتكم ، ولقد ظننت أنكم ستشيرون إلى لزوم مساعدات عسكرية وفق رغبة القيادة المصرية للاستعانة على إنقاذ الموقف ، فقال « لا . إن الحكومة المصرية لا تستعين بأحد ، ولكن أين القوات الملكية الاردنية والعراقية ؟ أما قوات سوريا فكلنا يعلم أنها غير مجدية . » وكان جميل مردم بك يسمع ذلك . « فقلت له : يفهم من هذا أن دولتك قد حضرت لتتهمنا ، وقد قلت أن الحكومة المصرية لا تستعين بأحد وهذا عزام باشا يصرخ في الاذاعة طالباً المساعدة ، وأنت تحقر العرب في بيت العرب ، وهذا بيت العرب فيه الاردن والعراق وسوريا ولبنان ؟ فقال مجيباً « أستغفر الله إنني لم آت

لاتهم . » وقال صالح صائب باشا بأنه سأل مقر القيادة المصرية بالزرقاء عندما بلغه خبر الهجوم اليهودي عن صحة الانباء فلم يظفر بجواب على الرغم من تكرر الاستفهام عن ذلك شفهياً وخطياً ، وإزاء ذلك فليس يرى بالامكان التحرك دون فهم للموقف ، فقلت : « هذه هي الحقائق وأنا ذاهب لصلاة العشاء وأنتم تحدثوا » فتركتهم وقمت لتوقي نتيجة التوتر الكلامي ، ولما عدت وجدتهم جميعاً وقد ذكروا حكومة عموم فلسطين ولزوم قبولنا واعترافنا بها ، فرفضنا بشدة لعلمنا بسخف هذا الرأي واعتقادنا بعدم أهلية القائمين بها ، وكان موقف جميل مردم بك عربياً محضاً إذ رفض معنا ذكر هذه الحكومة الموهومة وأنكر فائدتها ، ثم انفض المجلس على أن يجتمعوا بالمفوضية المصرية ، ولما اجتمعوا قال لهم النقراشي باشا إن سقوط بئر السبع قد تحقق ، وفي الليلة التالية اجتمع الذوات المشار اليهم في دار العين اسماعيل باشا البلبيسي مضيف النقراشي باشا بعمان يوم ذاك ، فاتفقوا جميعا على مساندة الجيش المصري وتم الرأي على أن يقام بتحركين اثنين ، واحد من قبل الجيشين العراقي والاردني من الجنوب ، وآخر بالاشتراك مع القوات السورية من الوسط والشمال ، وعند انتصاف الليل انفض الاجتماع على ذلك ، وتقرر أن يذهب الفريق صالح باشا والزعيم حسني الزعيم لتنفيذ تلك الترتيبات ، ولكن ما طلع اليوم التالي حتى اجتمعوا ثانية في الصباح فكلفهم النقراشي باشا بالعدول عن قرار الليل نظراً لزوال الحاجة ، ومع هذا فقد تحركت مفارز من القوات الاردنية في القدس وباب الواد وتقدمت إلى الضاهرية وإلى بيت جبرين ، فأنقذت الجبهة في الخليل واستعادت القوات المصرية من بيت جبرين الى الخليل ، هذا بعض ما وقع . ولقد استمر تموين قوات الفالوجة بواسطة الجيش الاردني حتى انقذت .

هذا بعض ما رأينا البوح به الآن .

الفصل الثالث

بين سوريا والأردن

لا يجوز لنا ان نكتب هذه التتمة دون ان نبحث عن القطر السوري الممزق ، الذي لا سلامة للعرب إلا بشعور اهله باتباع طريق الحق في هدفهم . فقد نكبت هذه البلاد بعد استيلاء الجنرال غورو عليها ، وكان هناك عدم تآلف واستقرار بين فرنسا و بين سوريا ، ثم جاءت الحرب العامة الثانية و بنتيجتها ولدت الجمهورية المستقلة ، ثم نكبت على يد حسني الزعيم وقد غير بحق ما يجب تغييره ، ولكنه هو أيضاً سامحه الله آثر نفسه على وطنه . وانني لاذكر ان الحكومة الاردنية قد بعثت بطيب أمانيها لآخر جمهورية موجودة الآن لعقد اجتماع ينتج عنه تمثيل البلدين بعضهما لدى بعض ، وعقد اتفاقية حسن جوار و إخاء كالتي بين الاردن والعراق ، ولكننا علمنا أيضاً أن رئيس الحكومة السورية أبدى عذراً ولم يقابل رسول الحكومة الاردنية ، ولعل ناحية عربيـة أخرى أو ناحيتين تؤثران هذا التأثير في كل حكومة سورية تميل إلى الوصول إلى حالتها الطبيعية من وحدتها وقوتها .

ولا يخفى على الناس اننا إذ نكتب هذا ، فلا نكتبه إلا للتبعة التي نشعر بها بسبب كوننا الشخص المتبقي من رؤساء ثورة التحرر من تركيا العثمانية .

وقد تركت العراق في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٠ راجعاً إلى الاردن وقلبي في لهفة على جلالة والدة فيصل الثاني رحمها الله . ومن غرائب ما سمعت في العراق التهم الموجهة لبعض السوريين الذين في خدمة جلالة الملك عبد العزيز بن سعود من أنهم جاءوا بأموال لاغتيال

شخصيات سياسية في سوريا ، وأن الاعتداء الذي وجه إلى العقيد الشيشكلي وقع بفعل أولئك ، وأن شيخ الارض أخا طبيب الملك عبد العزيز حرض بالمال شخصاً لاغتيالي ، وهذه من الغرائب . وقد شاهدت مثلها من حزب الاتحاد والترقي العثماني ، فكان إذا أراد رجاله التخلص من شخص سلطوا عليه من يرديه قتيلا ، ثم رموا بالتهمة شخصاً آخر من خصومهم ليفسدوا بين الناس ويرتاحوا هم .

أما الملك عبد العزيز فليس في قلبي أي شك في أنه لا يأمر بهذا أبداً ، أما شيخ الارض فمن الممكن أن يستعمل بعض الدراهم لتنفيذ ما يريد ضدي أو ضد أي إنسان لا يريدونه ، خدمة لشخصية سورية تأمرهم أو تشير عليهم بذلك . ولقد سبق أن قتل الزعيم الشهبندر عن يد هيئة سياسية معروفة ، والغدر والاغتيال شيمة الانذال السفلة ، لا شيمة الرجال الذين لا يزجون بأنفسهم في حضيض الخزي . وبهذه المناسبة أقول : سبحان الله كيف سقطت البلاد في هذه الأيدي العابثة القاتلة ، وقد عمت ما يقشعر له البدن ، فقد غدر بعضهم ببعض فتفانوا ، وهذا الشيشكلي لا يسير إلا بحراسة ، ولا ينام إلا بحراسة ، وان لم ينجه الله فسيكون حتفه بين حرسه . كما أن دم الشهبندر أقصى القوتلي عن كرسيه وأبعد جميل مردم عن وطنه ، وكذا فأهل الحرص والغدر يحيق بهم مكرهم .

إن سوريا اليوم في موقف يخاف عليها منه ، ودول المنظمة تمنع العدوان وتجيز العدوان في وقت واحد . سوريا بلاد واحدة قسمتها التيارات السياسية إثر الحرب العامة الاولى إلى أربعة أجزاء ، ولما قضى الله على الانتدابات بسبب الحرب العالمية الثانية ، قضى بهذا التقسيم أرباب الاغراض والحرص من أبناء هذا الوطن ، وهم اليوم يقتل بعضهم بعضاً ، وهذا عدوان ، ولكنه جائز عند منظمة الامم ، ولو أرادت الاجزاء الاخرى من هذا الوطن تدارك الامر بتشبث منتج موحد ، لقالوا عنه عدواناً وعارضوه ، ولكن لا بد لكل حالة

من نهاية ، وسينتهي هذا الموقف السيء بوحدة تضمد الجراح ، وتطرد كل عات يسعى بالفساد إن شاء الله .

وإزاء هـــذه الحالة ، علي أن أذكر العرب بواجبهم مرة أخرى في إنـكارهم الذات واحتفاظهم بما فيه مصلحة وطنهم من تقديم خيار الناس على شرارهم والابتعاد عما فيـــه تخاذلهم وافتراقهم .

يجب الان على العرب أن يحرروا أنفسهم من المتغلبة عليهم من العرب ، وبنظرة بسيطة على ما يجري في الشام مذ كان يحكمها السيد شكري القوتلي وما أصيب به من إقصاء على يد حسني الزعيم ، ثم ما حصل على حسني الزعيم على أيد أخرى ، والارتباكات التي تلت ذلك ، ثم قتل العقيد محمد الناصر قائد الطيران ، ثم كارثة الحناوي والاعتـــداء المسلح الذي وقـــع على الشيشكلي ، ثم إقفال الحدود الاردنية السورية ، والعراقية السورية ، بقصد التفتيش ، وسجن بعض الذوات منهم وزير حربية أسبق ، يقال أنه يحتضر اليوم لانه أضرب عن الطعام . وما هو واقع في مصر من تحقيق حول الجيش ، ومن لغط يدور حول كل مسألة ، من هذا كله نستدل على أنه يجب على العرب أن يتحرروا من الاوهام ، ويتبعوا الحقائق .

الشام والعراق ، غربي وجه البلاد العربية وشرقيه . الشام على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وحدودها من الشمال تركيا . والعراق هو شرق البلاد العربية ، وعلى حده الشرقي ايران ، وفي جنوبه خليج فارس . فالبلدان على حدود دول كبيرة وعلى حد البحر الابيض، كما قلنا ، فهذه البلاد وحدة سياسية وجغرافية خطيرة ، وفي جنوب البلدين صحارى نجد والحجاز . والبلاد التي يسميها أهلها « المستسورة » يعنون بذلك أنها تشرب فضلات الماء الذي ينزل من السماء بعد أن ترتوي سائر البلاد ، فهي مجدبة وفي خطر الحاجة إلى الاغذية في كل سنتين أو ثلاث . وبلاد العرب التي منها يكون العرب مجداً ، هي العراق وسوريا . وإن كان هنا ما يحز

في النفس فالتشويق الذي يضر ، والذي هو واقع من دولتين معروفتين من دول الجـامعة ، ومن سفر متتابع ممن يتحملون المسؤوليات في سوريا ، المرة بعد المرة ، الى هاتين البلادين لتلقي الارشادات والاشهادات والاعانات ، وفي هذا ما فيـه من تبعات على المسافر والمسافر اليه . وانه ليحز في النفس ، نفس كل رجل كان في الثورة العربية الاولى ، وجر الى انفصال العرب عن الدولة العثمانية ، أن لا يعتاض العرب من نفسهم ما يحمي شرفهم ويردهم الى سابق مجدهم .

هذه تأملات لو قلت أنها رثاء للقومية لما كذبت .

محضر الاجتماع

الذي عقد في قصر رغدان العامر

يوم الثلاثاء في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٥٠ بحضور حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله المعظم ودولة الدكتور ناظم القدسي رئيس الوزارة السورية ومعالي الزعيم فوزي سلو وزير الدفاع السوري وقد بدأ جلالة الملك المعظم الاجتماع بأن ألقى الكلمة التالية :

لقد تلوت كتاب فخامة الرئيس الذي حملتموه دولتكم ، فوجدته يحتوي على لب لباب ما يقتضي العمل له من تساند وتآخ وتعاضد ، وارجو ان توفقوا في مذاكراتكم مع الحكومة في امور كثيرة تبتدىء بتبادل التمثيل السياسي ، وتثني بازالة الجفاء الواقع ، فنحن بلد واحد واخوة وجيران، وأود قبل أن تبدأوا هذه المذاكرات أن أعرض عليكم الموقف، قديمه وجديده :

تعلمون أني أنا الوحيد الباقي من الذين قاموا بالثورة على العثمانيين ، فقد كانت للعرب مطالب قومية عملنا لتحقيقها منذ أعلن الدستور عام ١٩٠٨ ، وكان يرأس حركة المطالبة الهيئات السورية التي ترمي الى تحقيق اللامركزية في الادارة . وقد سارت هذه الهيئات شوطاً غير قصير ، وكادت تصل الى نتيجة . وتذكرون كيف دعي المرحوم الشيخ عبد الحميد الزهراوي الى مؤتمر باريس ليقابل وزير الداخلية طلعت بك بخصوص طلب الادارة اللامركزية لسوريا ، ثم كيف منح السيد الادريسي مطالبه في جنوب عسير وغربه ، وكذلك اعتراف الدولة العثمانية بالامام يحيى حميد الدين كامام للزيدية و بلقب أمير المؤمنين أيضاً .

وحينئذ وقع حادث اغتيال ولي عهد النمسا في سراجيفو ثم جر الى الحرب العالمية الاولى . وكنت وقتئذ في استنبول نائباً عن مكة المكرمة وأخي فيصل نائباً عن جدة ، وما لبثنا أن رأينا حالة الاتراك تغيرت ، إذ عزموا على الانضمام الى الطرف المعادي لروسيا ، وتركوا أصدقاءهم

القدماء . وغرضهم من خطتهم هذه منع كل عنصر غــير تركي من المطالبة باللامركزية أو غيرها . وما استحوا من اعلان غاياتهم ، بل صرحوا بما انتووا عمله لنا وللنواب ، وقد أبدوا لنا في بادىء الامر بعض النيات الحسنة ، لـكن الايام أثبتت أنهم كانوا يظهرون غــير ما يضمرون ، وما طلبت الادارة اللامركزية لسوريا بحدودها الحالية ، بل لبلاد الشام حتى تبوك جنوباً ولولايتي حلب و بيروت ومتصرفية القدس . واغتنم الترك فرصة نشوب الحرب فقرروا اخضاع العناصر المطالبة بالاصلاح ، فبدأوا بتهجير الشعوب ، وأخذوا يسلبون و يفتكون . عند ذاك لم يصبر العرب على هذا ، ولم يكونوا بالطبع ليرضوا البقاء حيارى حتى يستبدلوا سيداً بسيد أو يبيدوا . وكان فيصل في الشام مع جمال السفاح بحجة ايجاد مجاهدين أو غير ذلك من المهام ، وهناك اجتمع أعضاء حزب سوريا الفتاة وقرروا القيام بثورة عامة لايجاد أمة واحدة ، ودولة واحدة ، وعلم واحد تحمي شرف الشرق وتعيد المجد الضائع . ورجع أخي فيصل ومعه أختام زعماء سوريا موضوعة في كيس للدلالة على الوفاء بالوعد الذي قطعوه عــلى أنفسهم في العمل لاستقلال العرب .

لا أطيل عليكم . بدأت الثورة وكنت قائد الجيش الشرقي ، ولم أكن أتصور مطلقاً أني أقاتل عن الحجاز ، بل كنت أقاتل دفاعاً عن سوريا والعراق ونجــد واليمن وكل قطر عربي آخر . ثم أخذ الله تعالى باليد فتغلبنا على الصعوبات واجتزنا العقبات ، فلمــا انهارت تركيا كان جيشنا العربي قد بلغ حلب . وما إن عقدت الهدنة حتى أخذنا نسمع نغمات غريبة وآراء عجيبة أذهلتنا ، فبريطانيا راحت تنادي بترك العراق للعراقيين . ثم بدأت ثعابين التفرقة تطل برؤوسها ، وتغيرت نفوس كثيرة ، ثم وقعنا في شرور الانتدابات ، فـكانت فرنسا في سوريا ولبنان ، وبريطانيا في العراق وفلسطين والاردن .

وقد تحركنا من الحجاز بعد انهيار عرش فيصل بالشام الى معان للمطالبة بالحق المغتصب . ووصلت الى عمان ، و بعد ذلك دعيت الى القدس للمشاورة مع المستر تشرشل وزير المستعمرات

البريطانية وقتئذ ، فلما قابلته قال لي : ان فرنسا لا تطيق عودة فيصل الى سوريا ، فلو بقيت أنت وأحسنت التصرف وسرت بالامر سيراً طيباً هنا وفي الحجاز فاننا نأمل أن تعود فرنسا عن اصرارها وترضى بالحق بعد عدة أشهر فتعود اليكم بلاد الشام ، فطلبت منه مهلة للرجوع الى رجال سوريا الذين اجتمعوا في عمان ، فوافقوا على أن أبقى . ولكن وقع حادث الاعتداء على الجنرال غورو في الشجرة فاستغلت فرنسا القضية وزادت في طغيانها وغطرستها ، وتتابعت الحوادث الى ان بدأ الجهاد في سوريا وتركز في جبل الدروز . وكنا هنا في هذا الجزء من بلاد الشام موئلا للناس يستجمون فيه ويجدون منه نعم العون والرفادة .

وظلت الاحزاب والنوادي تنادي بالوحدة ونبذ التفرقة ، وتدعو العرب الى ان يكونوا أمة واحدة ، ذات دولة واحدة .

وفي الحرب العالمية الثانية هزمت فرنسا ، ثم وصلت سوريا الى الاستقلال . واني ليؤسفني أشد الاسف ، وأنا الثائر لوحدة العرب ، أن أرى أولئك الذين شاركونا في الجهاد ، أصبحوا ميالين للتفرقة ، بل أشد دعاتها ، فتغيرت المطالب القومية الاولى من وحدة قومية شاملة الى تجزئة بغيضة ضارة . وأنا أقول كلمة صريحة ، وهي أننا قد أخرجنا من الحجاز من أجل سوريا وفلسطين . وسلطت علينا في أرض الحرمين الشريفين أمة جبارة من الاعراب ، أمعنت في البلد المقدس تخريباً وفتكاً وتدنيساً . ومع هذه التضحية البالغة أصبح كل من يأتي الى هنا منكم ليسلم علينا اعتبر عمله هذا إجراماً يجازى عليه بالسجن والتعذيب .

اننا نحن آل البيت السبب الاول في رفعة العرب ، فمجدهم الاول انبثق من بين يدي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومجدهم الثاني انبثق من بين يدي باعث الثورة العربية الكبرى ، ونحن السبب في ايجاد من نسميهم اليوم بأصحاب جلالة وأصحاب سمو وأصحاب فخامة وغير ذلك .

وها نحن نرى اليهود في جنبنا على حدود طويلة ، وهم كالشوكة في العين والخاصرة ، ومن الغريب أن المجموعة العربية ما تزال تركز جهودها وآمالها على الجامعة العربية ، وما تزال

تتردد في تصفية الحالة القائمة فيما بينها . والجامعة يحضرها رجال لا يدرسون الحقائق في مختلف البلاد العربية ، وفي هذه البلاد تتغير الوزارات وعلى رأس الجامعة رجل واحد لا يتغير ، وهو يدير شؤونها لمصلحة وطنه مصر ، ويوظف أبناء قومه لتحقيق هذه الغاية وحدها ، فمصر عنده كل شيء ، ويجب أن تسخر مصالح العرب ، وأن تزداد التفرقة بينهم لخدمة مصر . اذا ذكرت هذا كله وشاهدت ما يقع من الاحداث شاع اليأس في قلبي ، فالجهود التي بذلتها ، وأنا البقية الباقية من الذين ثاروا وتقدموا لاغاثة العرب وأخذ الثأر للشهداء ومقاومة نرامي تركيا ، أراها — أي الجهود — تنكر ولا تشكر ، ويتخلى عنها الناس خدمة لمطامع فردية وارضاء لشهوات حزبية .

فما الذي عملناه لتكون بلادنا تحت رحمة رغائب شخص معين ، أو دولة معينة لم تساهم في قليل أو كثير لمصلحة العرب ؟

خرجنا من ديارنا نقاتل البغي والعدوان ، وأخذنا حقنا وحق بلادنا غلاباً بسيوفنا ، بينما عين غيرنا تعيينا . وهؤلاء أصبحوا يتآمرون علناً على مجموعة الدول العربية التي لم يعترفوا بأنهم منها الا لما وجدوا لهم مصلحة في هذا الاعتراف . والحالة التي نراها ، تتفاقم يوماً بعد يوم ، وهي ان استمرت أوقعتنا بين أيدي الدول الاجنبية ، ولا أحسب أن عربياً واحداً يرضى بهذا المصير .

وها هم اليهود الى جوارنا ، ونحن تحت تهديدهم الدائم ، وعندهم جيش وطيران ورؤوس أموال ، وعلاوة على ذلك تؤيدهم أميركا واكثر دول أوروبا . والاردن وطنكم أنتم ، وأهله أهلكم ، وما أنا الا رجل حجازي أبطحي أخدم العرب وأضحي في سبيلهم بنفسي ، وانتسابي للبيت النبوي الشريف هو الذي يحفزني الى العمل للعرب دون تفريق ، ولذلك ليست حماستي للمجد العربي بالشيء الجديد ، بل ليست ببدعة ، كما فعل الآخرون .

والآن : ان الموقف بين أيديكم ، ان شئتم رفعتم شأن العرب ، وان شئتم أهويتم بهم الى الحضيض ، فاليهود خطر دائم علينا ، قبل غيرنا من الاقطار العربية ، ولكني أنا وشعبي

نقف بالمرصاد ، ولن نتلكأ لحظة واحدة عن القيام بواجب الدفاع عن كل شبر من أراضينا ، وأنتم تعلمون أن بيننا و بين بريطانيا محالفة ، وقد تعهدت بالدفاع عن حدودنا الحالية بعد انضمام القسم الشرقي من فلسطين الينا ، ومع ذلك فان لدينا القدرة والكفاية على الدفاع ، وعهد الانكليز بالدفاع قائم اذا شن اليهود هجوماً علينا ، ولكني لا أظن هذا الهجوم يقع لان اليهود لا يريدون اثارة مشكلة لا يدرون الى أين تنتهي .

وأمام هذا الخطر لا بد لنا من تفاهم يجعل بلاد الشام في كل أجزائها تغضب معاً ، وترضى معاً ، وتقاتل معاً ، وتصالح معاً . فاعملوا لما يحقق هذه الامنية .

سرني تشريفكم ، وأنا والحكومة والشعب الاردني نعتبر أنفسنا جزءاً من سوريا ، وان قلتم لا .

ويهمنا في بادىء الامر ، كما قلت من قبل ، ان نتبادل التمثيل السياسي . كما يهمنا ان يعتقد كل سوري اننا لن نحارب سوريا التي من أجلها حاربنا العثمانيين ، ولن نكرهها على ما لا تريد . وأنا من جهتي أعد بمساعدتها في كل وقت ، وأرغب أن أقدم لها كل عون بعد أن تنعم بالاستقرار ، وبعد أن تتم تصفية الامور ، وما الذي يمنع أن يجتمع رؤساء الوزارات ووزراء الحربية والمالية والخارجية وغيرهم ، ليدرسوا الحالة ، فاذا اتفقت كلمتهم على شيء أصبحت المجموعة السورية قادرة على صد كل اعتداء ؟ فساعدوا بلدكم ، وتعاونوا على ما فيه خيره . أما أنا فرجل مكي أبطحي ، وأكرر ما قلت بأنني لن اقاتلكم لاستولي على بلادكم ، وكيف أقاتلكم وقد قاتلت عنكم ؟ نريدكم أن تكونوا كما تريدون ، والتفرقة تخيفني ، لانها مصدر كل خطر . ويخيفني ان يتزعم علينا فلان أو فلان دون استحقاق ودون سابقة ، فقد سبق لهم أن صارحونا العداء ، وقرروا فصلنا من الجامعة ، رغم أننا نحن عز العرب ومعين مجدهم . ثم عاكسوا الاماني القومية العربية بالتحمس لتدويل القدس . أفلا يعرفون أن هذا التدويل سيؤدي الى ضياع المدينة المقدسة والخليل ونابلس ايضاً . ثم لماذا اثاروا ضدنا حملة شعواء مغرضة ونحن

الذين جاهدوا وضحوا حتى حفظوا ما بأيديهم من فلسطين للعرب ؟ وهل تحسن سمعتنا عندهم اذا وضعنا تلك الاقسام لقمة سائغة للاغيار ؟ . عليكم أن تزوروا تلك المناطق لتقدروا التضحية التي قدمها الجيش العربي الاردني ، والمسؤوليات الجسام الملقاة على كاهله . زوروا اللاجئين في خيامهم ، زوروا الفلاحين في قراهم ، اسألوا من لقيتم عن حالتهم ، وارجعوا بالحقيقة كاملة وقولوها علانية . ان هؤلاء اللاجئين اخوانكم وكل واحد منهم عزيز علينا وعليكم .

و بعد أن تدرسوا الوضع كاملا قرروا ما تريدون للم الشعث وتطبيق الوحدة السورية . ولكم ملء الحرية ، فان اخترتم الجمهورية فأنا راض بها ، وان قررتم الملكية فلا مانع لدي ، واذا رأيتم أن الاتحاد الاستقلالي أفضل نزلت على رغبتكم وسعينا لتنسيق الجهود والاعمال ، سواء في الشؤون المالية أو السياسة الخارجية . وأقول لكم أن العراق يرحب ولا شك بما ذكرت . و بعد أن يتم لنا ذلك ، فاننا سنكون قادرين ، اذا نشبت حرب شيوعية ، على رد الخطر ولن تصبح بلادنا عرضة للتطاحن ، وقد كانت سوريا مركزاً للجيش الرابع والعراق مركزاً للجيش الخامس العثمانيين وقوام هذين الجيشين رجال من البلادين ، لذلك ستصبح بلادنا وفيها القوة ، يملكها خيار الرجال . ولنا في معركة فلسطين عبرة ودرس ، اذ لم يصدنا عن بلوغ الغاية الا عدم وجود السلاح والعتاد ونقصان الرؤوس المدبرة والقيادة الموجدة الحقيقية ، وأنتم ولله الحمد لا ينقصكم علم ولا عرفان ، ففيكم عسكريون وماليون وأنتم نخر العرب ، فلم أرى صفوفكم ممزقة وكل يوم يصرع أو يطرد واحد منكم من الحكم ؟ وأغرب من هذا أن نرى الدول التي ساندت الحاكمين منكم تسارع لتأييد قاتل ذلك الرجل المسنود ومساعدة صاحب الانقلاب الجديد ، وهذه حالة لا أستطيع قبولها كمسلم وعربي . وقد كان شكري القوتلي على خلاف معي، فلما حدث انقلاب حسني الزعيم كتبت اليه أدعوه الى المجيء الى عمان ليؤسس حكومة فيها . وفجأة أخذت مصر تعطف على حسني الزعيم وتمنحه قلادة محمد علي وتهجر صديقها القديم . ثم قتل حسني الزعيم ، وقبل أيام قتل الحناوي فاللهم اهد الناس سواء السبيل .

مرحباً بكم ، نحن اخوانكم وما تخافونه الى جوارنا وجواركم ، وا كرر طلبي بضرورة زيارة الحدود ، وهؤلاء الوزراء اخوانكم فاجتمعوا بهم ايلا ونهاراً وقرروا ما ينفع هذه الامة. وفقكم الله . هذا ما تسمعونه من رجل عرك الايام وخبرها .

جواب الدكتور القدسي

أشكر جلالة الملك المعظم على هذا البيان الواضح والشرح الوافي للقضية العربية ، وعلى ما تفضل به من نصائح وارشادات . وسأتحدث الى فخامة رئيس الجمهورية عما لقيناه من حفاوة وا كرام ، وسأنقل اليه ما سمعته الآن من جلالتكم .

ويهمنا يا صاحب الجلالة أن يسعى ملوك العرب الى معالجة الموقف الحاضر بحكمتهم المعروفة ، وأن يعنوا بالمستقبل وحده ، فالرجوع الى الماضي لا يجر غير الوخائم كما يعيد السخائم ، وأعتقد أن لاخطاء الماضي عوامل كثيرة لا تخفى على فطنة جلالتكم ولا محل الان لسردها ، ونحن الان أمام أمل كبير وخطر كبير ، وهذا ما تجب معالجته قبل أن يستفحل الخطر . للماضي حسنات وأخطاء ، وهي كلها تنسى وتمحى أمام أخطاء أ كبر وحسنات أ كبر يمكن أن ترتكب هذه أو تلك إن لم نسر في الطريق السوي ، و إن لم نستهدف مصلحة العرب ، والعالم اليوم يتطور، والشعوب تسير بسرعة ، ولا يجوز لنا أن نتخلف عن ركب الامم الاخرى، وهذا التطور يشمل نظم الحياة والتفكير والعقائد ، فلو قال افرنسي واحد قبل الحرب الماضية ، اننا لن نحارب روسيا لكان جزاؤه الاعدام ، أما اليوم فهناك ملايين من الفرنسيين يعلنون أنهم لن يحاربوا روسيا فلا يتعرض لهم أحد بأذى . وفي الماضي كانت الكلمة للملوك والرؤساء ورجال السياسة ، أما اليوم فللشعوب صوت مسموع في كل ما يتعلق بحياتها ، وعلى هذا الاساس نرجو من أصحاب الجلالة الملوك والرؤساء أن يعالجوا الحاضر والمستقبل اذ لن ينفعنا بحث الماضي .

وقد كنا نحن السوريين حجة تستغل لاظهار العرب بمظهر المختلفين ، فدولة تقول أننا منحازون الى صفها ، ودولة أخرى تقول بل ان سوريا الى جانبي . والذي جئنا من أجله هو أن نعلن أننا لا نعمل الا لمصلحة العرب ، ولسنا نتبع هذا الفريق أو ذاك ، وكل ما نرغب فيه هو أن ندعو الله تعالى أن يوحد صفوفنا ويجمع كلمتنا . وقد قلت لمعالي وزير الخارجية أن المسألة جد لا هزل فيها ، فلسطين تجاور الاردن وسوريا ولبنان ومصر ، ويعلم اليهود أننا لو كنا متفقين لاستطعنا أن نرد كل اعتداء مجتمعين ، فلو فرضنا أنهم شنوا هجوماً علينا ، فان الدول الثلاث لا تستطيع رده اذا لم تشترك مصر معها في القتال ، واذا هاجموا مصر فهي أعجز عن صد العدوان اذا لم تشترك الدول الثلاث معها في الحرب ، ونحن نريد الخلاص من هذا التهديد المستمر ، وأي خبير عسكري يرى أن لا سلامة لمصر من اليهود الا اذا عاونها العرب . والمرجو أن نترك العاطفة جانباً ، فالشعوب انتبهت، والجيل الجديد يكن لنا المقت والحقد . وإني لاذكر أن ابني وعمره تسع سنوات كان يستمع الى الراديو عام ١٩٤٨ فلما رآني هتف بي قائلا : كفاكم تدجيلا . انكم تزعمون انكم غلبتم اليهود ، ولكن الوقائع تدل على أنكم أنتم المغلوبون . فأولادنا اليوم لا يثقون بنا ولا يعتقدون بصدقنا . ونحن كشعب عربي نحب الجميع ، ولكن علينا أن نقدم واجبنا على غيرنا . أرجو وأنتم خير من عرك الايام ورافق القضية العربية من مولدها الى اليوم وكان سندها الاول، أن تتصلوا بملوك العرب وأن تسعوا لازالة الخلاف القائم ، بعالي همتكم وعظيم مقدرتكم ، لان اليهود يعتمدون في نجاح أعمالهم على هذا الخلاف ، ونريد أن تكونوا جلالتكم القدوة الحسنة لزملائكم أصحاب الجلالة ، ونحن في سوريا نرى الشر أمامنا كما ترونه ويراه كل عربي ، ولكننا في الوقت ذاته نريد أن نخرج سوريا من ميدان التطاحن ، بحيث لا تصبح موضع خلاف ، فلا يقال انها مع هذا المحور أو ذاك ، اذ أن أمامنا واجبات فعلينا تنمية مواردنا وتعليم أبنائنا وتطبيب مرضانا ، وقلبنا مفتوح للعرب جميعاً ، لا لفريق دون فريق .

تعقيب جلالة الملك

استوعبت كل ما قلتموه دولتكم ، لكني ألفت النظار الى حقيقة ناصعة لا يتطرق اليها الشك ، وهي أن من لا ماضي له فلا مستقبل له ، فمن نسي ماضيه كان كالمبتدىء في الحياة ، وماضينا مشرف لا عيب فيه ، وللعرب قرآنهم وهو ما لا ننساه من أجل التفرقة الحاضرة ، والوضع الحاضر .

لقد جيء باليهود الى فلسطين ، وأخذوا يستعدون ويتأهبون مالياً وعسكرياً والناس ينظرون اليهم وهم لاهون عن الخطر ، وبعد أن أتموا استعدادهم وكان الانتداب قد انتهى ، حدث ما عرفناه جميعاً ، وما كان اليهود ليصلوا الى هذه الحالة لو كانت للدول العربية قيادة موحدة وعزيمة صادقة ، ولكان شهر أيار ١٩٤٨ موعد نهاية اليهود كمجموعة ذات خطر على العرب .

قلتم أنكم تفتحون قلوبكم للعرب كافة ، أفلم تسمعوا بما يقوله المسافرون منكم الى نجد والحجاز — وهم كثيرون — عن حالة الفوضى في تلك البلاد ، وعن الظلم المروع الحال بها ؟ ان الحجاز يعاني أفدح أنواع الذل والهوان . أما مصر فهذه مصر نعرف حالتها مما تنشره صحفها من فضائح مزرية يخجل لها كل عربي ، وهي معنية بالتهجم على الناس أكثر من عنايتها بصد هجوم اليهود عليها ، وفيها عشرون مليوناً . أما نحن والعراق فعيوننا مفتحة ونرقب الهجوم علينا ، ونحن معاً نتألم من التردد الذي نراه في الشام ، وما يحدث فيها من تغييرات ، وما نقرأه في الصحف عن منازعات الاحزاب وقتل الناس وفقدان الطاعة للحاكمين ، وهذا ما يحملنا على الخوف من حركات جديدة تبدل الاوضاع وتعصف بالقومية والاخلاق ، والحالة الحاضرة لا تطمئن على الموقف ، اذ ستكون سوريا عاجزة عن صد اليهود أو أية أمة أخرى ، وأظنكم لا تنسون حدود البلاد ، فلو شن اليهود هجوماً عليكم أو علينا أو على لبنان ، فانهم

سيصلون الى غايتهم قبل أن يأتي لنجدتنا المصري والنجدي والعراقي ، إذن فالموقف يستدعي منا نحن الثلاثة أن نتلافى الخطر قبل وقوعه ، أما نحن فاننا مستعدون وأطلب اليكم أن تراقبونا ليل نهار ، ونحن اخوانكم ، ولن نفصل ماضينا ، لا عن حاضرنا ولا عن مستقبلنا. وتأكدوا أنني على استعداد لمد يد المعونة لكم اذا كنتم في حاجة اليها ، ولن أتأخر عن واجبي تجاهكم لحظة واحدة ، وأنا منكم ومعكم ولكم :

الدكتور القدسي — نرجو يا صاحب الجلالة أن تكونوا من العرب ومع العرب وللعرب ، ان البلاد العربية تمتد من شاطىء الاطلنطي الى ايران ، وفي افريقيا الشمالية ستون مليون عربي بينما في الجزيرة العربية ١٩ مليوناً ، ولا يمكن نسيان اخواننا في شمال افريقيا ، فهم أساس مجد العرب في الاندلس .

جلالة الملك — لا تنس يا دولة الرئيس أن مركز الخلافة كان دمشق عند افتتاح الاندلس ، فالمدينة المنورة ودمشق و بغداد هي مراكز الخلافة ، وما عدا ذلك فمستعمرات وانتدابات باللغة السياسية الحديثة ، فعليك أن ترجع للماضي حتى لا يضيع مستقبلك .

أما ما ذكرتموه عن اتفاق الملوك وازالة الجفاء الذي تقولون أنه واقع بينهم ، فاني أذكر اني سافرت الى الرياض والقاهرة ونسيت خصومتي وتجاهلت عاطفتي ، وأحسب أن سفري الى نجد لم يأت بفائدة .

الدكتور القدسي — أعتقد يا صاحب الجلالة أنه أفاد .

جلالة الملك — وكيف تقولون دولتكم أنه أفاد ، ورجال القضاء والمحققون منكم يثبتون في وثائق رسمية علنية أن من في نجد أرسلوا أشخاصاً وأموالاً لاغتيالي ؟ . هل هناك سبيل للقلب الانساني ، مهما اتسع ، أن يصافي شخصاً يعرف أنه لا يريد له إلا الاذى والردى ؟ .

الدكتور القدسي — يا صاحب الجلالة . لا ينكر أحد خدمتكم العظمى للقضية العربية ، وجهادكم الطويل لاستقلال العرب ، ولكن الظرف الحاضر يتطلب من جلالتكم تضحية جديدة للتوفيق وازالة الجفاء ، وهي أن ....

جهوري الملك — هل بلغتم دولتكم الاربعين ؟

الدكتور القدسي — أنا في الخامسة والاربعين ، وعند نشوب الثورة العربية كنت طفلاً في الثامنة من عمري .

جهوري الملك — في ذلك الوقت كنت أقود الجيش الشرقي للثورة وأقاتل العثمانيين دفاعاً عن نجد والعراق واليمن وسوريا ولبنان ، فكيف أنسى الجهود التي بذلتها والوطن الذي نشبت فيه الثورة . وأخرجني منه الاعراب الغلاظ القلوب لأجلكم ولأجل فلسطين ، ثم أتموا ما فعلوا في بلدي بارسال تقود لفئة مأجورة حتى تغتالني في هذا الجزء من الوطن العربي .

عفا الله عما مضى . مرحباً بكم ، سيرد الزيارة لكم سعيد باشا[1] . واعملوا ما ترونه مفيداً لنا ولكم ، واخواننا في العراق يرحبون بكل ما نتفق عليه ، وحبذا لو زار وزير دفاعنا كل مكان في بلادكم العزيزة .

أشكركم على كل حال ، وأنتم في بلدكم و بين أهلكم .

---

(١) دولة سعيد باشا المفتي رئيس الوزارة الاردنية وقتئذ

العراق

وانه محلة من المجموعة العربية

لا ظلام للمبصر . . ولا عشوة للمتمكن . . ولا تردد لمن رزق البصيرة . . ولا خوف على من يعرف الحق و يصرح به . . هذا هذا . . لذلك لا عجب إن قلت إن العراق وأهله ، من تسمى منهم بسني أو انتسب شيعياً ، ثقة آل البيت ، والقلب النابض من أجلهم ، والبلاد التي عرفت بهم ، وعرفوا بها ، جبل ثراها بدمائهم ، وتركزوا بها وجادلوا فيها أهل الزيغ . . فالكوفة بعلمها وفقهائها ونحوها وصرفها واعلامها . . والبصرة بأدبائها ونحاتها . . خدام العلم وأمناء العربية والاسلام، و بالجملة فالعراق في الصدر الاول، وان حصلت فيه بعض الرجات وتردد حيناً لكنه نفض عنه كل تلك الشوائب ، وتمخض فصار موئلاً للحق ، ومركزاً للصراحة ووطناً للاباء ، وهادياً الى طريق الصواب . و إن الذي وقع في أوائل التاريخ الاسلامي من تشبث عرفه الناس لتبديل وضع جاءت به الرسالة ، وسار عليه الخليفتان ، ومشى عليه عثمان رضي الله عنه من الست السنين الاولى من عهده ..... كل ذلك يري الناظر ما هو العراق ، ومن هم أهله . . فهو الان يحوي الرافدين ، و يعتصم في البعد عن متناول اليد في كل ناحية من نواحيه . . لهذا نجد العراق يقول الحق ولا يبالي من قال عنه كيت وكيت . . وكذلك حال الاردن فالدعوة الهاشمية كانت به في طفيلته البلدة المعروفة منه . . وفي أردنه الاكبر . . حيث كان الامام محمد بن الحنفية .. وعلي بن عبدالله بن عباس .. فكانت تصدر من الاردن الاشارات والارشادات الى أبي مسلم الخراساني . . حتى استقر الامر ، وكانت الاعصر العربية الزاهرة . .

ولا غرو فان ينس شيء فلا ينس قول الشاعر :

إذا قيل خيل الله يوماً ألا اركبي   ودت بكف الأردني انسيابها

أما آل البيت من نسل الحسن والحسين عليهما السلام فلم يدع أحدهم إلى دنيا يريدها.. ولا إلى ملك يعضضه .. ولكنهم كانوا كلما شاهدوا ثلمة في حائط البناء الاسلامي دعوا إلى رتق الفتق .. وتشييد البناء .. وكان في كل وثبة من هذه الوثبات ، تنبيه لعباد الدنيا .. والراغبين في الملك .. والمعروفين بالترف .. وما يجره الترف .. فكانوا بدمائهم حفاظاً للحق .. خداماً له .. كلما تذكرهم أهل البغي توقفوا عن غلوائهم .. حاسبين حساب هذه الوثبات المحمدية ، والصيحات العلوية .. لذلك إذا نظر الناظر إلى ما هو صائر بعد الثورة العربية من تجادل هنا وهناك .. فانما هو داء قديم .. وأمر غير مبتدع ، ومع ذلك فان الله لبالمرصاد ..

فالعراق والأردن في هذا العصر يحملان مشعل الوحدة والتقوى .. واستهداف الحق ، رجاء انضواء كل متحير تحت لوائها .. والتظلل بظل الوحدة والعروبة المحضة .. لا يضرها تكالب أرباب المنافع الذاتية أو الدعاية المغرية .. والأغراض التي لا تميل إلى شيء من التقدم والسلامة .. بل يثبت هذا التجاذب أن الذين يريدون حبس العرب ومنع تقدمهم ليسوا في العراق .. ولا في الأردن ..

والحق يفلج ما سواه .. وللباطل جولة ثم يضمحل ... نور الله البصائر ، وأنار السبيل لكل متردد حائر .

الفصل الرابع

مصر والعرب

ألمنا في البحث إلى مصر ، ومصر عضو في الجامعة العربية ، ولكن العرب عرب ومصر مصر ، وعلى العرب أن يقوموا معها مقام الأخ مع أخيه ، وعلى مصر ان لا تطلب من العرب التوقف في مراحلهم الزمنية من أجل مسائلها الذاتية ، فان من أراد الحق كله في يوم واحد ربما حرمه السنين الطوال ، ونحن نأمل لمصر ما نأمله لأنفسنا ، ونرى أن على العرب أن يعالجوا القضية المصرية كما يعالجون قضاياهم ولكن على الطريقة التي قلناها ، من مراعاة إمكانياتنا وما يمكن أن تواجهه الأوطان الشقيقة من عمل يقوم به من له يد أو مصلحة أو قوة في بلادنا . واليك أيها القارىء كتابنا الواضح في هذا الصدد إلى جلالة الملك فاروق وجواب جلالته على ذلك بتاريخ ١٣ أغسطس (آب) ١٩٤٧ :

حضرة صاحب الجلالة أخي الملك فاروق المعظم حفظه الله

أخي العزيز

بعد الدعاء لجلالتكم بالتوفيق وعرض واجب التحيات والتسليمات ، أستسمح جلالتكم في ان اتقدم الى سدتكم العلية بكتابي هذا نظراً للوداد الموروث بين بيتينا ، ذلك الوداد الذي احرص على دوامه حرصي على سلامة البلدين والبيتين معاً .

لقد كنت ارجو ان تسمح الظروف بالاجتماع لبحث مخاوف نحن فيها ، ورجّات نحن عرضة لها ، إنما تأخر هذه الفرصة واكتساب الأحوال من الرقة والدقة شكلا عاجلا جعلني أندفع لذكر ما يقتضيه واجب الاخوة والعروبة والاسلام .

ما من احد على وجه هذه الارض لا يقدر ما ابدته مصر تحت حكم المرحوم صاحب الجلالة والدكم فؤاد الاول ، وفي زمن جلالتكم الميمون ، من ضروب الوطنية والتدرج شيئاً فشيئاً نحو الوصول الى الهدف المقصود والغاية المرموقة . وان الموقف الحاضر ليدعو الى ارتجاج في النفس ، وحرص على السلامة ، ورغبة قلبية في الاحتفاظ بالجهود السابقة ، لذلك احب ان اشير الى ان كل عادة جرت واستمرت تصبح تحكماً في الآراء ، ما خص منها وما عم ، وسبيلاً وعراً يعسر التوقف فيه او الرجوع عنه ، ما لم يمنح المولى عز وجل بقدرته من يقف بشخصه وقوميته عند حد للتحرر من العوائد الدافعة للحكومات في سبيل واحدة يجب العدول عنها الى احسن منها .

لا شك في أنه عند أوائل حكم والدكم المرحوم ، كان من الواجب على صاحب العرش وأعوانه إظهار رغائب الشعب في التحرر والاستقلال ، وتلك دورة مشت وتدرجت ، ويقتضي الآن الشعور بلزوم قيام شكل آخر للاستفادة من مجموع الأمة وحكوماتها ، فالأحزاب العديدة والتكتلات المختلفة إذا تنافرت وتناحرت ذهب نزاعها في الكثير من الفرص التي تقرب من الهدف ، وبحمد الله أؤمل أن صاحب الجلالة أخي الفاروق فيه من القدرة والحنكة ما يجعله يؤم أمته بذاته ويوجهها عن يد كرام القوم والمخلصين منهم في مصر للعرش والامة إلى أحسن السبل واسهلها للبلوغ بالقومية الى ما يريده صاحب العرش وتريده الأمة . ولكم فيما سلكه الأجداد الكرام من محمد علي اليكم ، شتى المناهج لتنجية الأمة من استبداد مستبد او عتو قومية او شغب عام ، بحيث يتفضل صاحب الجلالة فيرسم ما يراه ثم يعزم عزيمته الى الطريق التي يرى تفضيلها وترجيحها . وانني لأبين بأن تعب مصر هو بعينه تعب سائر بلاد العرب ، فهي اجساد متعددة لها روح واحدة .

وان الحالة العالمية التي لم تنته الى صلح في اوربا تدل على كوامن زمنية يخشى منها استئناف الحرب وتأجج نيرانها مرة اخرى ، فالروس من ناحية والأنجلوسكسون من ناحية اخرى ، في سعي حثيث الى ان يتفوق احدهم على الآخر ، والأمم الصغرى لا حول لها ولا قوة بالنسبة للمعدات الحربية الحاضرة ونفقات الحروب الباهظة . ولذلك فيصبح من الأهمية بمكان النظر الى وفاق محكم بين امم الشرق ، ثم الارتكاز على الجانب المألوف من المعسكرين تحت إطار الشرف والاستقلال ووحدة الدفاع ، فالعراق و بلاد الشام ومصر العزيزة هي المركز العظيم في الشرق الاوسط الذي يؤمن الخلاص من طمع الطامعين ، ان هي اتفقت واهتدت الى ما فيه الخير .

و بعد هذا فاننا نرى ان بلاد اليونان وتركيا وايران تحت اشد الضغط من المعسكرين ، وفي هذا ما فيه من اعتبار اقطارنا العربية روحاً واحدة يجب ان تتفق رؤوسها المتعددة في رسم الخطة التي فيها سلامة المجموع . فالدفاع المشترك يحملنا اعباء ثقيلة توجب علينا ان نعيد النظر في السياسة المتأثرة بضغط رأي عام داهم هنا او بالشام او بمصر . ولعلي استطعت ان اعرض على صاحب الجلالة ، من طرف خفي ، انه اذا وفق الله جلالتكم فأمرتم باستئناف المفاوضات بين مصر وبريطانيا وأجلتم رفع القضية في المنظمة الى وقت ما ، فتكونون جلالتكم اخذتم عصا القيادة ونجوتم اولا بمصر ثم أرحتم البلاد الشقيقة عن مستقبلها ، ففيها المعترك ان وقعت حرب. وانني واثق من ان مسألة وحدة وادي النيل ستحل بعون الله على ما فيه رغائب جلالتكم ، والشيء بعد الشيء . والعالم تقوده الثقة ويبعده عن بعضه الخصام إن قولاً أو فعلاً ، وهذه بلوى عامة ارجو ان تتغلبوا عليها جلالتكم ، وانني مشاركم سهركم وقلقكم واعتقد انكم مؤيدون من الله . ومعروضاتي هذه هي خالصة لوجه الله ولمحبتي لجلالتكم مع تقبيل عيونكم و بيان تعظيماتي لشخصكم ، اخي .

عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

من فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور بعون الله

الى حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية

أخي العزيز

تلقيت ببالغ الامتنان كتاب اخي الكريم ، وفقه الله الى شريف المساعي وجليل الغايات ، وجعل فيما بيننا من تحاب في الله ، وتناصر في الحق ، وتعاضد في الخير ، وتضامن في العمل ، مصدر خير وبركة ، وسبب قوة وعزة لنا جميعاً .

ولقد تأثرت كثيراً مما بدا في كتاب جلالتكم من اهتمام بالموقف في مصر من شتى نواحيه ، ومن حرص على ان تسير الأمور في مجراها الذي يصل بالكنانة الى خير ما تهدف اليه وترجوه . واني لأستشعر الدوافع النبيلة التي حدت بكم الى الكتابة إلي في ظرف من ادق الظروف التي تجتازها بلادي العزيزة ، وأنا واثق ان ما عرضتم علي من رأي إنما كان خالصاً لوجه الله ، ولما تكنونه لي من اكيد الحب ومتين الود .

وما بعجيب ان يكون لغيوم تعرض في مصر اثرها في نفسكم الطاهرة ، فان ما بيننا من قديم الاواصر وجديدها، وعزيز الوشائج وكريمها، ما لا سبيل الى اهمال حقه او اغفال حجته .

وانني لأقدر تمام التقدير وجهات النظر السياسية التي عبر عنها خطابكم الذي افضتم فيه ، في بيان ما تفيده مصر والبلاد العربية بأسرها من إعادة فتح باب المفاوضات مع بريطانيا ، وما يرجى من ورائها من الخير في عالم تقوده الثقة ويبعده عن بعضه الخصام إن قولاً او فعلاً ، ولقد كان بودي ان يصلني خطابكم في وقت كنت استطيع فيه ان استفيد من عظيم تجاربكم

ووافر خبرتكم وسديد رأيكم ، ولكن الأخ — اعزه الله — يعلم ان لله مصير الخلق وعواقب الامر ، وان كل خطوة تخطوها البلاد يغذيها اعتماد على الله وتوكل على رب لا يدفع باب الرجاء دون من قصده .

وارى من حق جلالة الأخ ان اطمئنه على ان حكومتي باذلة كل ما تملك من جهد وراحة ، للعمل على تحقيق اهداف عقد الشعب العزم على بلوغها ، وهي تلحظ بعين العناية والتقدير الظروف الدقيقة التي تمر بها الدول الصغرى في عالم يعج بما يعج به من احداث جسام .

ومما يحملني على التفاؤل ، شعوري بأن جلالتكم تشاطرون مصر آلامها وآمالها ، وبأن قضية مصر هي قضية العروبة بأجمعها ، وكل خير تناله مصر هو كسب لهذه الامم وتلك الشعوب ، التي جمعها رباط لا تنفصم عراه من لغة ودين ووحدة في الغايات النبيلة ، وذلك عامل مهم من عوامل الثقة والطمأنينة .

وكل الرجاء ان يهيء الله لنا الخير والبركة وان يقبل الأخ شكراً مكروراً على ما جشم نفسه من اهتمام كريم وسعي جليل .

ومني الى جلالتكم اخلص آيات الود واطيب التحية .

فاروق

صدر بقصر القبة ٢٦ رمضان ١٣٦٦

١٣ اغسطس ١٩٤٧

وفي السنة العاشرة من حكمنا

هذا هو قولنا في مصر وفي سياستها بالنسبة للقضايا العربية المتحدة. ويؤسفنا أن نسمع تلك الاصوات المستهجنة تخرج من مصر في كبريات صحفها ، فتباعد بين هذه الأقطار وتفت في عضد التماسك ، وتظهر بجلاء ووضوح نظرة مصر الى العرب ورغبتها في التجرد من الصبغة العربية .

ولعل من الخير ان نذكر بهذه المناسبة بعض الصحافة المصرية ، فان لها من الاسباب ما يستوجب معالجته لمصر والمصريين ، وقد قال صاحب المثل « لا تصاحب الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك » . وللصحافة في مصر نية حسنة نحو الوطن المصري ، ولكن هذه النية تأتي في الدرجة الثانية . اما الدرجة الاولى في حسن نية بعض هذه الصحافة فلنفسها ولكسبها ولانتشار بيعها ، فهي تجارية على اكتسابها المال وعلى خسارة مصر اصدقاءها ، ومن الحكمة ان نذكر قول الشاعر العربي :

جراحات السنان لها التئام   ولا يلتام ما جرح اللسان

على ان الناس قد عرفوا بعض هذه الصحف ، إذ لا نفع من مدحها ، ولا ضر من قدحها ، تمدح يوماً وتسب آخر لغير غرض ، ولو التفتت الى ما هي فيه لاستحيت وانكمشت ، لسان طويل وذيل قصير ، تنظر الى مواضع الحياء منها فلا تستحي ، بل تزيد تكشفاً وافتضاحاً ، فهي هي . ثم قد قيل ان احدهم قال لأخاذة ابله وهو يشتمهم من ورائهم : « اشبعتهم شتماً وفازوا بالابل » .

فقد جرد قسم من الصحف المصرية مصر من كل صديق ودود لها .

واليك مثلاً على ذلك ما قالته مجلة آخر ساعة المصرية في عدد ٨١٧ بتاريخ ٢١ يونيه (حزيران) ١٩٥٠ تحت العنوان التالي :

من نحن ؟

مصر اليوم .. ومصر الفراعنة

على ضفتي النيل . ومنذ خمسة آلاف عام ارتقى الجنس المصري عرش الزمن ووضع الأسس الأولى لمدنية الانسان .

واليوم نعيش نحن على ضفاف النيل ، عشرين مليوناً من الناس .. فمن نكون ؟ هل نحن السلالة المباشرة لذلك الجنس الذي كتب أولى صفحات التاريخ ؟ ام هل نكون جنساً آخر دخل هذا الوادي وعاون الزمن على تغيير كل شيء فيه ؟ ام هل نحن خليط من اجناس مختلفة .. ليس لنا اصل ولا نسب ؟

روح مصر ..

ربما كانت الاجابة على هذه الأسئلة لا تقبع في زوايا المدن الصاخبة .. وربما كان الريف القصي خير ميدان للبحث !

هذه القرى السوداء ... منازل صغيرة متلاصقة من اللبن يتوسطها بيت العمدة ، وقد دهن بالجير الأبيض . وتتراكم فوق سطحها مخازن الحبوب والوقود ، وتنبعث منها رائحة الخبز مختلطة برائحة الدواجن والسائمة .. ثم هذه الأجران المقابلة وقد صفت فوقها قوالب الطوب تنبعث منها رائحة الطين العفنة .. انها نفس القرى المصرية القديمة التي تناثرت على الأرض منذ خمسة آلاف عام والتي تسجلها اوراق البردي وجدران المعابد .

وهؤلاء الفلاحون وقد انحنوا على الأرض السوداء يروضونها بنفس الآلات البدائية

القديمة برغم انفجار الذرة في صحاري امريكا وعلى ثلوج سيبيريا ... هـذه السحن الفريدة ، وهذه الوجوه السمراء ، وهذا التفاني البعيد في خدمة الأرض من شروق الشمس الى مغربها دون شكوى او ضجة ، وهذه الروح ساعدت هذا الشعب العامل الذي لا يكل على بنـاء الأهرامات .. انهم هم انفسهم الذين عاشوا على هذه الارض منذ خمسة آلاف عام ، وهو نفس الشعب المسالم الوديع الذي جعل منه رمسيس الثاني وتحتمس الثالث شعباً محارباً باسلاً !

نفس العادات

ان عاداتنا في الوقت الحاضر هي نفس عادات اجدادنا منذ خمسين قرناً . ومن اوراق البردي القديمة نجد ان الحياة في « منف » الجميلة لا تختلف كثيراً عن الحياة في القاهرة منذ مئة عام . . البوابات الهائلة تقوم على ضفاف المدينة ويقوم عليها الحراس ليلاً ونهاراً . وتؤدي الى الطرقات الرئيسية التي تحفل جوانبها بالحوانيت و حركات البيع والشراء . ويأتي الفلاحون من القرى المجاورة لقضاء حوائجهم من اسواق المدينة ولكنهم لا يبرحونها إلا بعد زيارة معبد الاله « بتاح » وتقديم القرابين والهدايا الى كهنته استدراراً للرحمة والرخاء ... وبرغم مرور السنين فان نفس الشيء ما زال يتكرر حتى اليوم في حرمي السيدة زينب والحسين .

اما الجنازة المصرية التي نراها في طرقات القاهرة متجهة نحو قبور الأمام فهي صورة طبق الاصل من الجنازة المصرية القديمة التي كانت تذرع طرقات طيبة ومنف . وتقول الطقوس الدينية المسجلة على اوراق البردي ان الكهنة يسيرون امام التابوت يرتلون الأوراد ويحرقون البخور . ثم يتبعهم التابوت محمولاً على الأكتاف او على عربة تجرها الحيوانات . ثم جموع المشيعين من الرجال . ثم النساء مرسلات الشعور ، ملطخات الوجوه بالنيلة والطين ، عاريات الصدور ، ضاربات الخدود ومولولات نائحات .

وكان الاغتراب هو اقسى تجربة يمر بها المصري القديم . ولم تكن الاسرة المصرية ترضى بالغربة لأحد افرادها . وكان المصري القديم اذا قست عليه الايام وابعدته عن بلاده يحرص كل الحرص على ان يموت في مصر ويدفن في ارضها المقدسة .

واليوم برغم زيادة عدد السكان على موارد الثروة ، وبرغم حاجتنا الماسة الى الهجرة كما يفعل ابناء كل امة في الارض ، ما زلنا نتمسك بالعيش في مصر ، وما زال الاغتراب هو المحنة التي تصيب كل مصري تبعده الاقدار عن بلاده .

الحقيقة عند العلماء . .

و بعد هذه الجولة . و بنفس الاسئلة التي تدور في رؤوسنا ، دعنا نتوجه الى المختصين بالحقائق .. الى علماء التاريخ المصري القديم .

دعنا نتوجه الى الفيللا الانيقة على طريق الهرم حيث يعيش سليم بك حسن استاذ التاريخ المصري . وفي مكتبته الحافلة نضع هذه الاسئلة بين يدي الاستاذ العالم فيتطلع اليها ويطرق قليلاً ثم يبتسم في هدوء ويقول :

« نعم . نحن مصريون . وليس في العالم امة حافظت على دمها وجنسها نسبياً اكثر من مصر . ولقد بالغ المصري في المحافظة على تقاليده وعاداته ودمه حتى انه في العصور القديمة كان يتزوج من اخته او ابنته كي يحافظ على نسب عائلته نقياً خالصاً . وبخاصة الفراعنة الذين كانوا يتزمتون في المحافظة على الدم الملكي نقياً . فكان فرعون يأبى كل الاباء ان يتزوج من ابنة ملك آخر حتى لا يختلط الدم الملكي الآلهي المصري بدم اجنبي .

هذا الى ان الزعم بأن الجنس المصري قد اختلطت به اجناس اخرى كاليونان والعرب

والآسيويين وغيرهم — مما جعل بعض من لا يدققون يعتقدون بأن شعب مصر الحالي هو خليط من هذه الاجناس وان الدم المصري لا يكوّن منه إلا جزءاً قليلاً — زعم خاطئ من اساسه . إذ الواقع ان مصر حافظت على دمها وجنسها و بقيت محافظة عليه حتى الآن برغم دخول هذه الأجناس ارضها . وان الأمة المصرية الحالية هي بنت الأمة المصرية القديمة .

إن الفاتحين لمصر كانوا لايدخلون الا في المدن الكبيرة مثل منف وطيبة والاسكندرية، اما باقي ريف مصر وصعيدها فكان بعيداً عن الاختلاط بهؤلاء الفاتحين . فمثلا نجد ان الاسكندر الاكبر عندما فتح مصر بنى اليونان لانفسهم مستعمرة خاصة بهم وعاشوا الى الان لا يختلطون بالمصريين ، وكذلك عندما فتحوا مصر كان عددهم لا يزيد على اربعة آلاف لم يختلطوا بالمصريين وهم يأنفون من ذلك حتى الآن . فان البدو الرحل الذين يتنقلون في ريف مصر يأبون كل الاباء ان يتزاوجوا مع الفلاحين . لذلك تجد ان المصري الذي عاش في ريف مصر منذ خمسة آلاف سنة هو نفسه مصري اليوم .

ودل البحث على ان جماجم المصريين القدماء التي كشف عنها حديثاً في الحفائر التي قامت في انحاء القطر لا تختلف عن جماجم المصريين في العصر الحاضر . وهذا دليل مادي لا يقبل الشك .

حتى في التقاليد الدينية تجد ان المصري قد صبغ الديانة الاسلامية بالدين المصري القديم والعادات المصرية القديمة . لذلك تجد ان الخرافات والاساطير التي عاشت في مصر القديمة ما زالت متغلغلة في مصر الاسلامية ولن تجد الحال كذلك في اي بلد اسلامي آخر .

حقيقة اخرى ..

و بين اطلال الاقصر حيث يعمل الاستاذ ماكيتاريان مدير مؤسسة الملكة اليزابيث في بروكسل لدراسة الآثار المصرية ، يتطلع الاستاذ العالم الى الاسئلة ثم يخلع قبعته و يقول :

ان شعب مصر الحالي هو السلالة المباشرة التي انحدرت من صلب المصريين . وبالرغم من كثرة الغارات التي كانت الشعوب المجاورة تشنها على مصر ، إلا ان هؤلاء الفاتحين — ككل الفاتحين الآخرين — كانوا يعيشون في المدن الكبيرة وبمنأى عن سكان مصر حتى يقوم امير مصري بطردهم عن آخرهم وتولي عرش البلاد ، ويكفيك ان تتطلع الى وجوه القوم وتصرفاتهم في هذا البلد لترى صدق ما اقول .

وكل ما حدث عندما دخل العرب مصر ان غالبية المصريين اعتنقوا الديانة الاسلامية كما اعتنقوا المسيحية من قبل .. وبقيت الأقلية التي تكوّن الأقباط الآن . وليس معنى ذلك ابداً ان المصريين اصبحوا عرباً . واذا اردت التدقيق فأقول لك ان المصريين الاصليين يكوّنون ما لا يقل عن خمسة وثمانين في المائة من شعب مصر الحالي . (انتهت المقالة)

غير اننا نأخذ بالحلم ما نرى من جهالة في القوم وندأب في سعينا القومي لاحلال هذه الامة محلها من الرفعة والكرامة سواء أتباعدت اقطارها أم تدانت . فلسنا نكتم سرورنا للمرحلة الاستقلالية البدائية التي احرزتها ليبيا ولقرار فرنسا بشأن تونس ، مع الامل الشديد في ان نرى الدولة الهاشمية المراكشية بالغة استقلالها التام الفعلي بتفاهم شريف بين فرنسا واسبانيا . وهاك شيئاً مما كتبنا الى الامير المجاهد عبد الكريم الخطابي يوم ٤ ذي الحجة سنة ١٣٦٨ الموافق ٢٦ ايلول ١٩٤٩ .

يا سمو الأمير

يعلم الأخ انني لا اكتم امثاله شيئاً من الامور مهما بلغت سرّيتها، وهو المجاهد الأوحد . احب الاشارة الى ان اخفاق دول الجامعة العربية في مسألة فلسطين حط من كرامة العرب شيئاً كثيراً وانه لا بد للعرب من الانتباه لاستعادة المجد والكرامة ، وهذا لا يأتي باتباع العاطفة ، ولكن يتأتى باتباع العقل والحكمة والتبصر .

يا سمو الأمير

ان الله نهانا عن التفرقة فلم ننته ، و بكل حزن اقول إنني اشعر بأن المغوين لنا من قومنا لا يزالون وكلمتهم مسموعة وآراؤهم متبعة ، ولـكن لا يأس من روح الله فانه لا ييأس إلا القوم الـكافرون . والامل في ان تنال بلادكم العزيزة ما هو فوق امورها الثقافية والاقتصادية التي بحثتم عنها . وقد تكلمت عنكم وعن بلادكم الشيء الـكثير ولم اجد ما استروح منه رائحة النفور من الجانب المخاطب ، فثقوا بالله وبحسن النية وا كتبوا الى اصدقائـكم ناصحين لهم ضمن ما طلبتم انتم من تعاون ثقافي واقتصادي ، وعلي انا ان شاء الله السعي في تأمين ما وراء ذلك .

الفصل الخامس

في العلاقات العربية البريطانية

اما فيما يتعلق بالشرق العربي كله وبريطانيا العظمى فان قوة هذا الشرق هي في وحدته وسلامته وتماسكه ليستطيع ضمان حقوقه الكاملة وصون شرفه ومكانته . والوحدة ينبغي ان تتحقق له قبل كل شيء ، واول مراحلها وحدة البلاد الشامية ثم الاتحاد بالعراق ثم السعي الى رفع السوية العلمية في الحجاز وفي نجد وفي اليمن الى مرتبة حكومات العصر الحاضر . والاخلاق العربية والديانة الاسلامية اوسع من ان تضيق عن واجبات العصر ودوله من علم الاقتصاد والصناعات وعلم حفظ الاوطان ، وعلى بريطانيا العظمى فهم هذا والتفاهم مع دول الجامعة عليه ، بعد حل عقد النفس العربية في دولها مما يمس الصميم من رغائب مكبوحة وحقوق محبوسة محدودة ، ولا جرم فان التوسع في العهد والتدرج فيه قد مشت اليه بريطانيا العظمى ، وذلك ما قاله انصار الواقعية عن عهد بيفن — صدقي ، وكذلك ما قاله انصار الحقيقة عن عهد بيفن — صالح جبر ، وكما قال صاحب النبراء لفارس داحس « رويداً يعدوان الجددا» . والمدى يسمح ، وما كل قائم عرضة للتهدم ، وما كل قائم مضمون له السبق في شوطه ، وعلى الامم عرفان امكانياتها وتتميم اشواطها في مراحلها الزمنية . ولم يخف على الناس سنوات استعداد المانيا بين الحربين العظيمتين الاولى والثانية ، ومشروع الخمس السنوات لروسيا السوفييتية . وللمراحل الزمنية الحق في امكانيات الدول ، وخصوصاً في العصر الحاضر من انشاء طرق وايجاد مطارات وتمرين طيارين وحشد المستودعات وحشوها بالاعتدة وبناء مصانع

الاسلحة حتى لا تقف الايدي زمن الحرب لفقدان وسائل الحرب ، والمسألة اليهودية شاهد على ما نقول ، وعلى الشركاء في المصلحة من الدول الصديقة ان تحب هذا الشرق وان تصادقه ، والا تحرمه من حاجاته في اوقاتها ، وان تعتمد عليه اعتماداً جامعاً بعد تفاهم حقيقي ، وعلى العرب ان يفهموا بأنه لا عبودية ولا سيادة بعد الحربين السابقتين ، فالامم انتبهت فتنبهت ، ولقد عظمت حاجات الناس عن احتمال قوى اية دولة تريد ان تأخذ برقبة من تشتهي من الامم الصغرى . ولا ضير ، فلأرباب المصلحة من الجانب العربي ان يقابلوا ما قلناه بالثقة التامة معتقدين بنياتنا القومية الحسنة .

الباب الثاني

الفصل الأول

الرحلات والأسفار

سفرة لندن وتعديل المعاهدة الأولى . تسميتي الأمير ملكا

لقد كنا نتابع السير الوئيد في رقينا التدريجي وتوسيع الحق الوطني ، مع رعاية كل ناحية من النواحي المتصلة بالبلاد ، سواء أكانت بالنسبة لأطرافنا المحوطة بشقيقاتنا الدول العربية أم كانت بالنسبة لما بيننا وبين الدولة المنتدبة ، فكان السفر إلى بريطانيا العظمى بدعوة من حكومة العمال الحاضرة عام ١٩٤٦ ، وكان رئيس الوزارة الاردنية يوم ذاك دولة ابراهيم هاشم باشا ، فكانت فاتحة الاعمال ميسرة ، كما كانت حكومة العمال ومستر بيفن في درجة من التوفيق عظيمة ، فجاءت معاهدة بيفن — ابراهيم . وتلا ذلك إعلان الملكية مع البيعة لنا بالملك ، وسميت البلاد المملكة الاردنية الهاشمية ، واعترف لها بالاستقلال والسيادة التامة .

مؤتمر انشاص

وبعد ذلك كانت الدعوة من صاحب الجلالة الملك فاروق إلى حضور مؤتمر أنشاص ، وكان رؤساء الدول العربية قد أجابوا الدعوة ، إلا من ناحية الامام في اليمن ومن الناحية السعودية فانه لم يشهد الاجتماع إلا صاحب السمو الملكي الأمير سعود ولي عهد نجد ، وصاحب السمو الملكي سيف الاسلام عبدالله من ناحية اليمن ، وانها لفرصة ثمينة ، إذ تقابل رؤساء هذه الدول لأمر عظيم ، وكان جلالة الملك فاروق يغدق لطفه وعطفه على ضيوفه الكرام ، ويظهر أحسن نياته مع عزمه على كل تضحية ممكنة من أجل القضية التي دعا اليها هؤلاء الرؤساء الكرام . وما جرى في ذلك الحين قد أثبت ثم أعلن . ولم تلبث أن حدثت نكسات بين العرب لم تكن مصر بمسببة لها ، وانما المسبب هو الذي جاء إلى مصر وأخذ يعمل على ما فيه الأضرار بالعرب والقضاء على فلسطين وهو الحاج أمين الحسيني المعروف بالمفتي . وعلى كل حال فقد علمنا أنه تناول قدراً عظيماً من المال من رئيس الجمهورية السورية شكري بك القوتلي تبلغ قيمته ما ينوف على مائتين وخمسين ألف ليرة سورية ، وهذا قليل من كثير من نواح أخرى . بمثل هذا تفرقت الاراء . ثم جاءت فتنة فلسطين ، وسافرت إلى مصر بين الهدنة الأولى والثانية للوقوف بذاتي على رأي جلالة الملك بالقاهرة وآراء حكومته ، والبحث في أعتدة الجيش الاردني المصادرة بمصر في بادىء الحركات ، ولأخذ الموافقة على زيارة القوات المصرية المحاربة ، فوعدت خيراً ولم أصل إلى نتيجة ما ، لأمور لا أعلمها ، وليس لي الحق بأن أستقصي موجباتها . ثم كان ما جاء في أول هذه المذكرات عن فتنة فلسطين .

السفر إلى نجد

ثم عدت وسافرت إلى نجد ، وهناك رأيت جلالة الملك عبد العزيز ووقفت على آرائه ونياته الحسنة ، وكتب منا إلى الجامعة التي كانت في حالة الاجتماع بمصر ما عنّ لنا ، ولما عدت إلى بغداد فوجئت بخبر نقض الهدنة من لسان دولة السيد مزاحم الباجه جي ، وبذلك النقض الذي كانت نتيجته ضياع اللد والرملة دون فائدة ، وبالرغم عن كوني أحمل اسم القائد العام ، لم ينفذ لي أي طلب من ناحية مصر أو من ناحية العراق في تلك الموقعة ، ولكل عذره .

الملك عبد العزيز

ولا بد لي من التحدث عن شخصية الملك عبد العزيز في أثناء زيارتي لجلالته ، فأنا أقر بأن جلالته من دهاة العرب في العصر الحاضر ، حلو المعشر ، أصحل الصوت لطيف الكلمات والجمل ، وهو سعد النزيل ، ومكرم الضيف ، رزقه الله ما شاء من البنين والحفدة ، ومهد له كل ما أراد . ولقد صادف قرمين من العرب كلاً منهما أشجع من أسامه ، ولكنه عرف كيف يتقي بأسهما ثم يتخلص منهما .

وانني أشعر الآن باحترام قلبي لجلالته ، إذ أنه عاملني بما أحب من صراحة في السياسة وتبيان للحقائق وعدم اعوجاج في ما رسم من خطط ، هذا وللامير سعود نجله من المكانة لدي ما لم يشاركه فيها بعد أبيه من آل سعود أحد .

نجد والحجاز

أما نجد فليست بنجد التي أعرفها ، بل هي اليوم مجال للسيارات والطيارات بعد الابل

التي كانت من قديم هي وسائل النقل . والظهران به آبار النفط ، وقد رأيت خطاً جديداً ينشأ ليوصل قرى نجد الجنوبية بالساحل .

وأما الحجاز فلم تسنح الفرصة لأن أزوره وأراه ، ولقد بلغني أن شباب الحجاز الذين عادوا من الكليات عادوا وهم ملء العيون من العلم والعرفان ، وآمل لكل حجازي النجاح في المستقبل وقديماً كان فيهم الذكاء والاستعداد المعروف عنهم .

السفر الى تركيا

الرئيسان عصمت وبايار

لست أنسى زيارتي لتركيا الجديدة بدعوة من رئيسها المحترم عصمت إينونو عام ١٩٤٧ ، وان دلت تلك الدعوة على شيء فانها لا تدل إلا على أن الاخوة في الشرق رأوا أن التجدد المجدي هو في التفاهم الحقيقي والتساند الأخوي ، وهذا ما كان واجباً من القديم السابق عندما ابتدأت اليقظة في أوربا ، وباشرت الامبراطورية النمسوية في أوربا العثمانية تضايق الدولة العثمانية ، وكذلك القيصرية الروسية في أوكرانيا والقرم وما حول بحر أزاق في قفقاسيا ، عندها كان يجب أن تتجدد الأمة الشرقية — تركها وعربها — في تشكيلات قوية محلية مربوطة بمركز الدولة ، فلو وقع ذلك لتفادت ديار الاسلام ما أصابها من شر ، وما أضعفها من وهن لم ينفع المركز ولم يفد الاطراف . وإنا لنؤمل أن نرى هذا من الآن فصاعداً فنتحد اتحادات مقبولة إن شاء الله من باكستان في الجنوب الشرقي إلى أدرنه في الشمال الغربي ، ومن حدود التبت في الشرق إلى طنجه في الغرب .

كان السفر من حيفا في باخرة الرئيس الخاصة « سافرونا » . تلك الباخرة المعروفة المشهورة بحسن تخطيطها وظريف تفريشها وحسن تنسيقها ، وقدرتها على أن تلعب بالامواج كما تلعب الامواج بها ، وقد وصلت بنا إلى مرفأ الاسكندرونه في ست عشرة ساعة ، وبعد أن ألقت مراسيها نزلنا منها إلى البر ، وقد كان بها على رأس هيئة الاستقبال سعادة بدري بك شامان الذي كان وزيراً مفوضاً لدينا ، وهو عالم وابن عالم ، ثم امتطينا القطار الخاص بالرئاسة وسار بنا مستقبلاً جبال طورس ، ماراً بأودية قد تقدم وسميها وتتابع وليها فأخذت الارض زخرفها وتزينت بالافانين من الازهار والمختلف من الاشجار ، ومن صعود وهبوط في رواب وأودية تجري منها الانهار وتتساقط فيها الامطار مخلوطة أحياناً ببرد وثلج وقتام وسحاب يظهر ما يتجلي من مناظر حيناً ويخفيها أحياناً حتى أرخى الليل ستاره ونحن في وسط الجبل .

أما القطار فحدث عنه ولا حرج ، إن شئت فقصر منمق ، وأن شئت فصرح سائر ، فيه جميع مستحدثات الاناقة وفاخر الرياش والفراش في حجر الجلوس وغرف المنامات والمطعم ، كل ذلك مما يبهج و يسر ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، لحظة من سرور وأخرى من حبور ، وسنين مليئة بالشرور يحدثها الاشرار وتضحك منها الاغيار و يتكرها الاخيار . هذا ، وقد أصبحنا في منقطع الجبل ومنحدر الاودية نستقبل الاناضول ، وهاده بعد جباله ، و إن أنس فلن أنسى أبداً التواءات نهر جيحون — يتركه المسافر إلى أنقره على يساره — منبطحاً يتلوى كخط فضي ، متعرجاً يبشر بالخير والسقيا ، وقد عملت أرضه ونضدت أوساقه ، ولم تهمل سدوده ، فهو يسقي بلا ضرر و يروي بلا جرف وجر . فالفلاح في سرور من حاضره راجياً مستقبله . واستمر بنا السير في أرض لم يكتمل إحضارها تماماً وليست بالخالية أصلاً ، ترى هنا وهناك أرضاً معمولة وأخرى غفلاً ، حتى وصلنا الى أنقره ، وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر كانون الثاني ١٩٤٧ و إذا بالمحطة مكتظة بعـدد عديد يرأسهم الرئيس عصمت إينونو ، وقد علم الناس من هو عصمت إينونو مما قرأوا عنه ، وأحب أن أحدث من يقرأ هذا الفصل عن هذا الرجل العظيم فأقول :

إنه من القادة العسكريين الممتازين ، وقد ذكرت في المذكرات الاولى أنه كان رئيساً لأركان حرب عزت باشا المشير ، الذي ذهب لاصلاح اليمن في عهـد السلطان محمد الخامس حيث مر بجدة وتقـابل هو والوالد المرحوم في شأن اليمن ، وان فلسطين لتعرفه في الحرب العظمى الاولى ، و إن واقعة إينونو التي تسمى بها تقول عنه بلسان السيف الفاصل ما يعجز عنه لسان البشر . وجولاته في مذاكرات صلح (سان ريمو) وكذلك أثناء المذاكرات التي كانت تجري بين العراق وتركيا وانجلترا بسبب الموصل معروفة مشهورة . ثم رئاسته الطويلة لمجلس وزراء تركيا في عهد أتاتورك تغني عن القول عنه بما يليق به . و بعد أن نزلنا من القطار تقدم إلينا فخامته مصافحاً ومعانقاً ، ثم جرى تفتيش الجيش الذي أخذ موقعه للتحية ،

ثم انطلقنا في سيارة فخامته ومعه إلى المنزل ، وهو « أوتيل أنقره بالاس » المعروف ، فأقمنا هناك وكان معنا محمد الشريقي باشا وزير الخارجية حينذاك ووزير البلاط اليوم ، فعقدت معاهدة الاخاء والصداقة في تلك المدة، ثم سافرنا إلى اسطنبول، وأنزلنا في سراي (دولمه باغشه) و بعد إقامة خمسة أيام عدنا بالقطار إلى الاسكندرونه رأساً ومنها باليخت الرئيسي إلى حيفا في سرور وشكر عظيم .

وان أمنيتنا الان تنحصر في التآخي بين أمم الشرق ، تآخ لا تشوبه أية شائبة تدل على شك أو ريبة .

أما مدة رئاسة إينونو التي تكررت فكانت سني استجام لتركيا ، وسني استطلاع يتعرف أثناءها بالمحب الصادق ، والآخر المالق . وقد ترك الرئاسة نتيجة الانتخابات الأخيرة إذ فاز الحزب الديمقراطي التركي ورئيسه جلال بايار ، وكان هذا وذاك يتناوبان رئاسة الوزارة في عهد أتا تورك ، وكلاهما من أبناء بجدتها ، وعصمت جندي فذ ، وسياسي نابغة وتركي صميم ، ولكن هذه الدنيا تمل أبناءها دائماً . وإن للرئيس بايار الميدان الواسع للعمل متى نظر إلى أعمال سلفه ووقف على ما لم يتم منها في ذلك الوقت فيعمل على التكملة والانشاء . ويكون بذلك أثمن الفرص لمن يود لتركيا الخير العميم ، فيقابل عمله بالشكر والتقدير .

وقد عقدنا في تلك الزيارة معاهدة صداقة ومودة بين مملكتنا والجمهورية التركية وأصدر رجال دولتينا البلاغ الرسمي المشترك التالي :

«لمناسبة زيارة صاحب الجلالة عبدالله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية للجمهورية التركية فقد جرت اتصالات وثيقة بين رجال الدولتين ومباحثات صادقة وواسعة حول سلام الشرقين الأدنى والأوسط والصلات المتقابلة بين البلدين ، وفي نتيجة تلك المباحثات تبين لكل منهما أنهما يحملان عين مُثُل السلم والتضامن الدولي ، تلك المثل التي يستهدفانها في سياستها القومية الملهمة من وحدة المصلحة والمودة المتقابلة ومن فكرة التعاون مع جميع البلدان المجاورة وقد أنتجت هذه المواطف المشتركة التوقيع على معاهدة صداقة لخير البلدين » .

السفر الى ايران

إخاء في الاسلام

أذكر أنه قد زارني فجأة وزير ايران المفوض ببيروت سعادة السيد زين العابدين رهنما، الذي عين أخيراً وزيراً مفوضاً بعمان، ونقل إلي رغبة حضرة صاحب الجلالة شاه ايران في أن يتقدم بدعوة لنا لزيارة جلالته إذا كانت الظروف مواتية، فصادف هذا التكليف مني رغبة حقيقية، فقلت ذلك مدعاة للمحبة والاخاء والشرف العظيم، فقال إذن هذه هي الدعوة معي، فوعدت بالزيارة — التي كان يتعجلها — بعد مضي شهر رمضان المبارك عام ١٣٦٨، وكان ذلك والحمد لله فسافرنا ومرت بنا الطريق على بغداد، وسرنا أن نرى بها حضرة صاحب السمو الملكي الأخ الأمير زيد ورجال العراق، وبعد أن قضينا عندهم ليلة استمر بنا السفر على جناح الطائرة إلى طهران، فتخيلت ماضي التاريخ وما يربط ايران بالبيت الهاشمي من روابط اعتقادية وصلات تشيعية. ولما انقضى السهل العراقي العربي وابتدأنا الدخول في منطقة هضاب ايران وأطوادها وعلى قممها الثلج تتخللها الأودية والقرى والقصبات مر بالخاطر عند ذلك تاريخ الاكاسرة والعظمة الايرانية، ثم اعتزاز تلك الديار بالاسلام، ثم ذكرى علمائهم الذين خدموا العربية وكان منهم أعاظم العلماء الفحول في كل فن من الفنون، وطالعنا من الجو أصفهان ثم رأينا جبل (دمباواند) وكل ما اقتربنا من طهران ازداد الشوق إلى الالتقاء بالعاهل الكريم و بلاده ورجاله.

وحينما تستعصي الذاكرة يتبلد الانسان، وقد يسهل على الكاتب أو المتكلم أن يصف الطبيعة والأرض سهلاً وجبلاً، والبحر ساجياً وهائجاً، والغيث ديماً ومنهمراً، والبرق خاطفاً ولامعاً، ونعيم الصحة وكلال السقام، ولكن لا يقدر كل كاتب أو واصف أن

يذكر بالتحديد الصحيح ما يشعر به من أحاسيس ، وما يداخله من رغبات إلى المخطوب غير المعروف ، والى الوفود على من يحب .

أما الجو فكان صحواً ، وأما الجيوب الهوائية فكانت ترفعنا تارة وتهبطنا أخرى ، حتى ألفنا ذلك من جو بلاد الشيعة ، وهي دعابة كريمة ، وربما أحببت الامتحان في الشجاعة أو الخوف ، ولما قيل لنا هذه ضواحي طهران ، أقبلت طائرات الاستقبال الايرانية من الجو وهي تسير أربعاً أربعاً ، فحيت وتلاعبت وأقبلت وأدبرت ، ثم أفسحت الطريق لهبوط الطائرة الخاصة التي تحملنا ، وقد هبطت إلى الأرض فقلنا بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ، وقد وجدنا في مناخ الطائرة هيئة الاستقبال التي مشت بين أيدينا إلى الصفوف القائمة واذا بجلالته وحوله رجال وزارته وأعيان بلاده والأسرة المالكة وسفراء الدول الاجنبية المتحابة ، فأقبل محيياً وصافح مبتسماً ، ثم كان العناق بين والد وولد أو بين صنو وصنو، قل ما شئت ، ثم عرفنا بمن أحب من الرجال والأمراء والقواد والسفراء ، ثم قدمنا إلى جلالته معيتنا ، ثم فتشنا الحرس ، ثم أمر وامتطينا سيارة ملكية ، وأخذ يرحب و يتكلم بالفارسية ، ولقد أدهشني حينما قال مبادراً: «إنني أبسط خدام الاسلام والمسلمين ، وأنت ممن ينتسبون إلى السادة الأقدمين ، فقدومك مفخرة وزيارتك لنا حشمة ورفعة ، فاذا رغب جلالتك فانني مستعد لأن أقوم بجمع شمل المسلمين وايجاد إخاء حقيقي بين دول الاسلام، وكل شيء يبدأه المرء بنية حسنة وهو يرغب رضا الله فلا شك في توفيقه ، وانني على استعداد لذلك.» فأجبته بما حضرني من إكبار لمرماه وشكر على ما رسم في كلامه ومغزاه ، وقلت : « لجلالتك الامر في ما ذكرت ، وهذه بغيتي ، ومن أجلها حظوتي.» و بينما نحن نتبادل التعبير عن شعوزنا الاخوي الاسلامي كنا نرى على جانبي الطريق تلك الامة التي وقفت تحيي مليكها وضيفه بما عرف عنها من كريم الاخلاق وحميد السجايا وتدليل الضيف ، واستمر السير حتى وصلنا إلى قصر (صاحب قرانيه) الذي أعد لنتزل فيه ، فأخذ جلالته بيدنا صعوداً في الدرج حتى وصل إلى

البهو الأكبر الايراني اللامع بالبلور سقفاً وجدراناً ، و بعد التحية والاستئناس تقبل جلالتــه منا وسام النهضة المرصع العلي الشأن وقلادة الحسين بن علي ، وهما أعظم ما يمكن تقديمــه إلى مثل جلالته ، و بالمقابلة فقد أهدى الينا وسام بهلوي من الدرجة الاولى والقلادة الملــكية ، ثم غادر جلالته القصر مودعاً بالاجلال والاكرام مترقباً زيارتنا له في قصر سعد آباد بعــد نصف ساعة من الوداع .

وحدثت تلك الزيارة ، وأتممنا فيها الحديث بتشكيل جبهة اسلامية ، ولقــد مضت أيامنا هناك في تكريمات وزيارات ، فسرنا ما رأينا وأعجبنا النشاط العسكري ، وحسن إشراق وجوه الجنود والضباط بشكل جلي ليس فيه أي علامة تنم عن ضعف في المعنويات أو خمول في الشخصيات .

وقد سجلت للرأي العام تلك الانطباعات الحسنة التي تركتهــا في نفسي زيارتي لايران في مؤتمر صحفي عقد لنا في طهران وكان حديثي هذه الرسالة التالية إلى الشعب الايراني النبيل وكان هذا نصها :

« إلى الشعب الايراني النبيل

«لقد كان سروري عظيماً بدعوتي من قبل أخي العزيز جلالة شاهنشاه ايران لزيارته وزيارة بلاده الشقيقة الجميلة . وعندما وصلت مع صحبي ورأيت المحبة تشع من سماء ايران وشهدت ما شهدت من لطف عظيمها وترحيبه الاخوي ومحبة شعبه النبيل جداً اكتنزت هذا في نفسي كأجمل تذكار . و إن ما للشعب الايراني في قلوبنا آل البيت من منزلة خاصة وما لنا في ايران من تذكارات وصلات روحية أبدية يجعل حبنا لهذا الوطن الاسلامي الشقيق طبيعياً جداً .

«ولقد أعجبت حقاً بآثار فقيد ايران العظيم المغفور له رضا شاه بهلوي و بترسم جلالة نجله الكريم آثاره والنسج على منواله ، ذلك المنوال من الخطط النافعة التي أنتجت إصلاحاً

كبيراً وتقدماً محسوساً في برهة يسيرة وفي زمن محفوف بالمتاعب ، وان في هذا لفجر مستقبل باهر لأمة كريمة مبشراً بالخير ، كما أن في إخلاص الشعب لجلالة عاهله المحبوب وغيرة جلالته المحسوسة على شعبه الوفي دعامة المستقبل ، بحــــول الله وبركات رسوله المجتبى صلى الله عليه وآله وسلم . »

وكنتيجة رسمية للاتصال بيننا و بين جلالة الشاه صدر عن رجال الدولتين هـــــذا البيان المشترك :

البيان المشترك

لمناسبة تشريف حضرة صاحب الجلالة ملك المملـكة الاردنية الهاشميه إلى ايران اغتنم ممثلو الدولتين هذه الفرصة رغبة منهما في توثيق الروابط الودية السائدة بين الدولتين فتبادلا النظر في أمر التعاون المتعلق بمصلحة البلدين سواء في الامور التجارية او الثقافية او العلاقات السياسية .

ونتيجة لذلك اتفق الطرفان على ما يأتي :

١ — توطيد الصلات الودية بين الدولتين بعقد معاهدة صداقة بينهما .

٢ — ايجاد روابط اقتصادية بين الدولتين بعقد معاهدة تجارية .

٣ — ايجاد تعاون ثقافي وأدبي بين البلدين .

٤ — التعاون السياسي في الحقل الدولي في سبيل السلام العالمي واستقرار الامن والحرية مع مراعاة ميثاق هيئة الامم المتحدة وعدم المساس بالتزامات المملـكة الاردنية الهاشمية المنصوص عنها بمقتضى ميثاق جامعة الدول العربية .

٥ــ بذل الجهود المشتركة في إزالة الخلافات التي يمكن أن تنشأ بين الدول الاسلامية بطرق سلمية والسعي لايجاد حسن التفاهم والتعاون بينها وتقوية روابطها الاقتصادية والثقافية مع عدم استنكاف كل من الدولتين عن قبول أي مقترح تجمع عليه الدول الاسلامية في ايجاد علائق بينها أكثر اتساقاً وتنسيقاً .

السفر إلى بريطانيا

تعريجنا على مصر

عدنا من طهران بأمل زيارة الشاه لنا بعمان في أول فرصة ، وما إن أقمنا يومين في عاصمتنا حتى وقع سفرنا إلى بريطانيا العظمى ، ووددنا اللقاء بصاحب الجلالة ملك مصر في طريقنا لازالة ما عسى أن يكون قد علق بفكره عن وقائع بئر السبع وما تلا ذلك عندما تركت القوات المصرية الخليل و بيت لحم والتحقت بقواتها الاصلية في الساحل، فلم نتوفق للقاء جلالته بدعوى أن جلالته كان في غيبة في البحر الابيض ، ولكننا اجتمعنا بحضرة صاحب المقام الرفيع حسين سري باشا رئيس الوزراء حينذاك ، و بعزام باشا أمين سر الجامعة الصديق القديم والمعروف لدى الخاص والعــام . أما سري باشا فقد استوعب كل ما عرض عليه وفهمه ، وقد كان لهذه المقابلة الاثر الطيب في نفسنا لاتزان أفــكار الرئيس المشار اليه وحبه للشرق ، الامر الذي جعلنا بعد عودتنا نوحي إلى وزير بلاطنا يومئذ دولة سمير باشا الرفاعي أن يوجه إلى رفعته كتاباً يتضمن رغبتنا في تصفية الجو بيننا و بين صاحب عرش مصر و يعرب عما نكنه من تمنيات الخير لمصر العزيزة وشعبها الـكريم ، واليك ما كتب في هذا الصدد :

كتاب سمير باشا

حضرة صاحب المقام الرفيع حسين سري باشا رئيس الديوان الملكي الأفخم

عزيزي صاحب المقام الرفيع :

أقدم لرفعتكم فائق التحية ووافر الاحترام ، وأتشرف بأن أنهي إلى مقامكم الرفيع أنني بناء على الرغبة الملـكية من سيدي ومولاي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أوجه هـذه

الرسالة الشخصية إلى رفعتكم لاذ كرأنه في المقابلة التي كانت قد وقعت مع رفعتكم في الاسكندرية، وكان لي شرف حضورها بمعية جلالته، كنتم رفعتكم قد أحطتم تمام الاحاطة بما يكنه صاحب الجلالة الهاشمية لجلالة عاهل مصر العظيم ولمصر وشعبها الكريم من تمنيات الخير والسعادة وتحقيق ما تصبو اليه المملكة المصرية الشقيقة من الاماني والآمال. ولا بد أن رفعتكم تذكرون كذلك أن جلالته كان قد رغب في أن يعرج على مصر في طريق عودته من اسبانيا في الصيف الماضي ولكن الظروف و بعض المؤثرات الملونة لرفعتكم حالت دون ذلك.

إنني لا أرتاب في أن رفعتكم ترون مثلي أن الزمن يفوت سريعاً وأن الاضرار التي تتعرض لها مصالح أوطاننا من جراء بعض الاتجاهات السياسية التي سبقت، تفرض علينا جميعاً أن نعمل جاهدين في سبيل إزالة الآثار التي ترتبت على ذلك وأن نبذل كل ما في وسعنا لتحسين علائق المودة وتمية روابط الاخاء بين المملكتين والشعبين وعلى رأسها البيتان الكريمان والعاهلان العظيمان. فاذا تكرمتم رفعتكم باحلال رأيي هذا محله من الاعتبار والتشجيع من جانب مقامكم الرفيع ووجدتم أن الوقت الحاضر ملائم لاتخاذ خطوات عملية نحو هذا الهدف النبيل، فاني من ناحيتي على أتم الاستعداد للقيام بواجبي في أي سعي مشترك قد ترون رفعتكم أن نقوم به لهذه الغاية السامية.

و بانتظار ما ستتفضلون رفعتكم ببيانه من آراء سديدة حول هذا الموضوع، أرجو أن تقبلوا تأكيدات احترامي وتقديري لمقامكم الرفيع، والسلام عليكم.

المخلص

سمير الرفاعي

وزير البلاط الهاشمي

١٩ شباط ١٩٥٠

حضرة صاحب الدولة سمير الرفاعي باشا وزير البلاط الهاشمي

عزيزي صاحب الدولة

تلقيت بيد الشكر والتقدير، كتابكم الذي أوحت به الرغبة الكريمة من صاحب الجلالة الملك عبدالله.

وإن دولتكم خير من يعلم أن مصر بذلت في كل وقت أقصى ما يمكنها بذله لتوطيد أواصر المودة والصداقة بين الشعوب العربية، وهي ما برحت مقيمة على هذه الخطة كما أكدتُ ذلك لدولتكم عند اجتماعنا في الاسكندرية.

واني لأشارك دولتكم الشعور بالأسف العميق على تلك الاتجاهات السياسية التي كان لها صداها فيما كان ينتظر أن تحققه الجامعة العربية من آمال عزيزة وأهداف نبيلة.

ويسرني أن أذكر للاخ الكريم، أن ما أبداه صاحب الجلالة الهاشمية من شعور سام، قد نزل في منزل التقدير من جلالة الجالس على عرش مصر. والله أدعو أن يعزنا بقوته، ويهدينا بحكمته، ويهيء لنا الخير والبركة، ويوفقنا إلى ما فيه مصلحة أوطاننا، راجياً أن ترفعوا إلى أعتاب جلالة الملك المعظم أعمق آيات الشكر على ما أوحى به من سعي شريف، وغاية جليلة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

٢٧ فبراير سنة ١٩٥٠

رئيس ديوان جلالة الملك

حسين سري

زيارة بريطانيا

وبعد تعريجنا على مصر واصلنا السفر إلى انجلترا ووجدنا أن فكرة الجبهة الاسلامية تحتل المكان الارفع من التأييد هناك، وهذا ما تقتضيه مصلحة بريطانيا العظمى صديقة

الاسلام في كل محل ، لو وجدت من يفهمها و يستفيد من نصائحها وتجاربها ومن قوتها ، وفوق كل هـــذا رأينا من صاحب الجلالة الملك جورج السادس وصاحبة الجلالة الملـكة وفادة كريمة ووداً عائلياً والـكثير من صدق الوداد وا كيد الاعتماد عندما زرنا جلالتيهما في قصر البالمورال باسكتلندا ، وبالطبع فقد تحدثت إلى جلالته ورأيت أنه على اطلاع تام وسرور حقيـقي للتفاهم الجاري بيننا و بين حكومة جلالته في ما خص وعم . ثم اجتمع بنا سفير أميركا في لندن فتكلمت معه فيما يقتضي لايران من وسائل الانعاش العاجلة ، فاهتم بذلك وسافر إلى بلاده ، ثم تلا ذلك زيارة جلالة الشاه لواشنطن ، وما حدث هناك وما تبعه هو عائد لجلالته وللحكومة الاميركية ، ولا اطلاع لنا على شيء سوى علامات حسن النتائج .

زيارة اسبانيا

الامل في تحقيق آمال عرب المغرب

وفي العودة كنا قبلنا دعوة الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية ، ورأيت من فخامته ومن شعبه ما أثار إعجابي وتقديري وجلب محبتي ، وهو شخصياً من أعظم أصدقائي وانني لأرجو حسن التفاهم السريع بين الديمقراطيات الكبرى واسبانيا ، على أنه من الواجب أن يفهم العالم وجه الشبه بين الاسبان والعرب في الاخلاق وكيفية الحكم ، فان الادارة الجدية عن يد واحدة يخيل إلي أنها مفضلة على سواها من أشكال الحكم . و إنا نأمل في أن نرى الجنرال فرانكو يخطو خطوات أكيـــدة لا شائبة فيها لتحقيق آمال عرب مراكش الذين بينهم و بين الجنرال المشار اليه مناسبات معلومة ، حتى يصل هو ومراكش الخليفية إلى وداد واتفاق ليس له صبغة تجرح قلوب العرب هناك وهنا .

العـــودة

مرورنا بلبنـان

ولقد عدنا مع الشكر على ظهر بارجة اسبانية ووصلنا إلى لبنان ، ولا لزوم لذكر أي شيء عن إقامتنا تلك الساعات المحدودة في ضيافة صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري إلا الاحتفال والتكريم ، ولقد شاهدنا احتياطات لمنع الوفود عن مقابلتنا ، دون أن نفهم السبب الداعي إلى ذلك :

الباب الثالث

في القضايا الدولية

الفصل الأول

الشيوعية والديمقراطية والنظريات الأخرى

هنالك رغبة أخرى لدى البريطانيين ممن اطلعوا على المذكرات في أن يقفوا على ملاحظاتنا العالمية ، وهذا امتحان دقيق في ذاته ، فهم أوسع منا خبرة ، وأقدر منا على استطلاع حوادث الدنيا وخطوط سير العالم ، ومع ذلك نقول :

وجدت المدنية الاوربية ، واستعمار الدول الغربية ، سوقاً خصبة في ديار الاسلام وفي شمال افريقيا وغربها وجنوبها ، وآخر ما وصلت اليه وليدات هذه المدنية الاوربية القضاء على الامبراطورية الحبشية على الرغم من مسيحيتها ، وكانت روسيا من القديم تكيل الضربات الواحدة تلو الاخرى للدولة العثمانية، وبهذا ابتدأ الشعور يستيقظ وأخذت الاعصاب تتنبه ، وكان أول انتباه آسيوي اليقظة اليابانية ، ثم الانتباه في الصين بفضل حرب العشر السنوات اليابانية هناك . وقد رأت الصين أن تكون صيناً حقيقية فأبت اتباع شانج كاي تشيك ظناً منها أن هذا يعمل لغيره ، وكانت دعاية ستالين بالنسبة لقرب الحدود ، لها التأثير الشديد على من يحب أن يتناول الحكم في بلاده بواسطة أجنبية ، مقابل ما كان ينال المارشال شانج كاي تشيك من مساعدات اميركية وديمقراطية ، فكانت الشيوعية هناك .

والشيوعية عقيدة موقتة ، أو لمة خاطفة تُعشي الابصار ، حتى تُعرف حقيقة العقيدة أو ما وراء هذه اللامعة من شر وفجور ، فتنبذ هذه وتطرح تلك . وفي الصين يقظة ، وفيها قوة ، والعرق الاصفر الممتد من التبت إلى بخارى حتى جبال الاورال عنصر واحد ولون واحد وهو اللون الآسيوي .

أما أوروبا فقد تحطمت في الحربين الكبيرتين وتعبت ، فلا المانيا في الوجود ، ولا الامبراطورية النمسوية لها أي ذكر ، وزلزلت مستعمرات فرنسا تحت رجليها وتحطمت هي في الحرب ، وحرمت ايطاليا من مطالبها ، فلا سلامة من خطر العرق الاصفر قبل الشيوعية إلا بالاسلام وديار الاسلام ، فان الاسلام عقيدة راسخة ، وتاريخ حافل ، وشجاعة قوية وحدت تحت « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأن لا حكم إلا لله ، وأن الظلمة هم أعداء الله ، وأن العدل أساس الملك » ، فما بين هؤلاء و بين الوقوف في ديارهم سداً حائلاً بين الشرق والغرب إلا إخلاص النية بين الشرق والغرب ، بين دول أوروبا الغربية والشرق الاسلامي ، على أن يكون الشرق الاسلامي مسلماً صادقاً غير مشوّه الاخلاق ولا مقلداً في الحياة ولا متزعزع الايمان ، وإن لم يقع هذا فالذي يلوح لنا أن الفتن سيتابع بعضها بعضاً بألوان وأسماء مختلفة ، فتكون نهاية العالم المتمدين سريعة وفظيعة رغم خدام السلام ومحبي الانسانية .

ومن الغريب أنا سمعنا ما عُزي لزعيم بريطانيا في الحرب العظمى الاخيرة ، وهو المستر تشرشل ، من طلب توحيد جيوش أوربا لمقابلة الخطر الروسي الشيوعي ، فلم يا ترى قضى هذا الزعيم على المانيا قضاء مبرماً في الحرب الاخيرة ولم يحسب أي حساب لروسيا التي حلت محل المانيا ؟ وكيف توحد أوربا الجيوش ، وبهذا التوحيد كيف تثبت لونها الجنسي وصبغتها القومية ؟ وإن كان لا بد أن نستخرج من هذا معنى، فالمعنى أن كل ناحية تريد أن تجعل لنفسها نصيب الاسد من المكسب العالمي .

والاغرب من هذا كله أن تعادي الديمقراطياتُ الشيوعية ، ويكون للديمقراطيات

وللشيوعية من يمثلها كسفراء في موسكو وواشنطن ولندن ، ولا يوجد أي سفير من أميركا أو انجلترا في مدريد عدوة الشيوعية . وقد عرفت شعوب الارض أن التحكم هو الاصل الذي تقوم عليه النظريات المدامة من شيوعية ونازية وفاشية ، وأن هدفها اضطهاد الامم الصغرى . ولئن عاشت النازية في المانيا وظهرت بمظهر القوة فذلك لاستعداد الشعب الالماني لتقبل تلك المبادىء ، فقد أراد الالمان أن يخوضوا غمار الحرب فحاربوا ولـكنهم عجزوا عن التحكم وزادوا في الاضطهـاد فتهدموا ، وكذلك شأن الفاشية . أما الشيوعية فلو لم تجد ميداناً لها في آسيا لاتجهت نحو الغرب ، ولحاولت أن تتوسع في أوربا ، ولـكن أمم غرب أوربا ليسوا ممن يرضى عن ضياع تاريخه ، أو يرضى بالتحكم الفردي فيسلّمون أمرهم الى من يفعل فيهم ما يشاء من تهجير وعسف واضطهاد ، ولذلك فمصاعب الشيوعية في أوربا كالمصاعب التي تعترض تلك العقيدة في ديار الاسلام . فعلى أرباب هذه النظريات التعسفية أن يقفوا حيث هم ، ولو وقف هتلر عند الحد الذي سبق الحرب الاخيرة بيوم واحد لظل إلى الان كما كان ، ولكن الدنيا عبر .

وكلمتي الى الديمقراطيات وشعوبها هي وجوب التآخي مع أهل الاسلام الذين عرفوهم فألفوهم ، والاعتماد عليهم وتسهيل مقاصدهم والاعتراف لهم بكامل حقوقهم ، فبهذا تتم الموازنة العالمية ويسلم الناس من شرور الحرب والدعايات . فإذا حل التفاهم ، ورضي كل بما له وعرف ما عليه فليس للدسائس في صفوفهم من سبيل ، ولا خوف عليهم عند الدفاع عن أوطانهم متى كانت وسائل الدفاع موجودة لديهم ، موفورة عندهم .

وكذلك فإن في إعادة النظر الحـكيم في إنهاء الحالة الشاذة في وسط أوروبـا ، وإعادة تنظيم الجيش الالماني بإيجاد إخاء بين دول الغرب كفرنسا وبلجيكا وبين المانيا ، وسل أسباب الحقد والعداء ، الدواء الناجع لمشكلة الدفاع عن غرب أوروبا في حالة العدوان السوفييتي .

الفصل الثاني

العالم الإسلامي

من البديهي ألا يفوتنــا ما يجب علينا ذكره عن المسلمين والواجبات الملقاة عليهم في هذا الدور من انقلابات العالم ومفاجآته . وديار الاسلام كما هي الان متصلة من حد التبت إلى جبل طارق ، ومن حد أدرنه إلى باكستان ، ومن شاطيء البحر الاسود إلى شاطيء المحيط الهادي: كتلة واحدة، لها عقيدة واحدة، ولا يتسنى لهذه الديار وسكانها البقاء والعظمة والشوكة إلا بتماسكهم جميعاً حول معتقداتهم ، يحوطون أوطانهم بما عرف عن أهل هذه العقائد من شجاعة و إخلاص ونقــاوة . والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، لذلك فرض الله الحج في كل عام ليجتمع أهل الاسلام في سرة بلاد الاسلام ، ثم يعودون وقد أفادوا فوائد واستزادوا منافع وأوثقوا إخاءهم وشدوا أواصر اتحــادهم لله ولاوطانهم . والى جانب العلوم العصرية التي يجارونها فإن من واجبهم أن يجعلوا علومهم القومية والتاريخية وأمر عقيدتهم في الدرجة الاولى من الافضلية في التعليم .

نعم ، الحج كما قلنا فريضة وتعارف وتآخ ، وقـــد قال الله سبحانه وتعالى (و إذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منــافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معــلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) ، ومن هذا يتبين أن الحج ليس لطبقة الاغنياء بل وللفقراء الذين يقولون

« لبيك اللهم لبيك » ، فيأتون رجالاً —أي مشاة— «وعلى كل ضامر» أي على كل ضامر من الابل أو الخيل اللاتي يأتين من كل فج عميق ، أي من مسافات شاسعة ، « على ما رزقهم من بهيمة الانعام » ، أي الهدي وما ينحر في الحج ، فكلوا منها أنتم الاغنياء الذين تستطيعون النحر واطعموا البائس الفقير الذي لا يجد ما يأكل ولا ما ينحر ، ثم — ليقضوا تفثهم — من حلق الرأس وتقليم الاظافر بعد الاحرام وحله. «وليوفوا نذورهم» ، أي إن نذر أحدهم نذراً يقوم به في بلد الحج فعليه أن يفي به في بلد الحج. « وليطوفوا بالبيت العتيق » يعني بالكعبة وهي قبلتهم . هذا ما فرضه الله على الناس . وأما ابراهيم عليه السلام ومن يخلفه إلى يوم القيامة في ديار الحج والمناسك والمشاعر فعليهم جميعاً أن يطهروا البيت والحرم للطائفين والعاكفين والركع السجود . هذا ما أوجبه الله عليهم إن كانوا يعرفون ذلك ، وقد جاء في أول سورة المائدة أمر الله عن الحج وعن العقود فقال جل من قائل « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد » يعني لا تصطادوا الصيد وأنتم في الاحرام من حيث أهللتم بالحج إلى أن تقضوه ، ثم إلى أن تعودوا خارجين من الحرم وحدوده . ثم قال « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله — بانتقاص حرمتها — ولا الشهر الحرام» بعمل ما لا يليق فيه، «ولا الهدى» ، أي ما سيهدى إلى الكعبة مما ينحر للحج ، «ولا القلائد» ، يعني التي قلدت بقلائد الهدى ، «ولا آمين البيت الحرام» ، يعني الحجاج والزوار طول السنة ، بأخذ مالهم ، أو نهبه ، أو وضع مكس عليهم ، «يبتغون فضلاً من الله ورضواناً» . «واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام» أي منعوكم كما هو واقع اليوم ، « أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ، فلا يجب شنآن أي كره من صد عن المسجد الحرام أن يسوق الناس إلى العدوان ثم قال « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » في مخالفة أوامر الله والعدوان على الناس . فالحج لله والحجاج ضيفان الله ،

والمتولون على الحرم أمناء الله ، والامانة أمر عظيم وقد قال جلّ وعزّ «إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » . نذكر هذا راجين من القائمين على الحج اليوم أن يعلنوا ما وجب مما فرضوه على الناس من جعل وأتاوات ، حتى لا يتكلف الناس اقتحام سبل الحج ثم العودة دون أن يؤدوا فريضة الله وقد شارفوا بلاد الحج . وانه من المناسب بيان الواقع باثبات ما رجاه حجاج من المغرب وصلوا إلى هذه الديار فمنعوا من الدخول الى الحجاز لفقرهم ، والالتماس الذي قدموه لنا كي نرجو حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وما قدمنا لجلالته من التماس أخوي وجواب جلالته على ذلك في هذه المذكرات ، نوّر الله بصائره وهداه إلى الخير ، وإنا نعمل هذا للحديث النبوي « من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة لجاماً من نار » .

برقية الحجاج المغاربة لنا

لأعتاب صاحب الجلالة الملك عبدالله المعظم ، عمان

يا سيدنا ، نحن حجيج من المغرب الاقصى مُنعنا من الحج لعجزنا عن دفع رسوم الحج بعد أن قطعنا آلاف الاميال وتجشمنا الاهوال . نستحلف جلالتكم ببيت الله الحرام وبجدكم الاعظم التوسط لدى السلطات السعودية للسماح لنا بالحج قبل أن يفوتنا ونُقطع . أعزكم الله وحمى بكم حرماته وأقداسه .

عمان في ١٩٥٠/٩/٥

عن خمسين حاجاً مغربياً

محمد علي الدكالي ، الحسين بن حسن

برقيتنا الى جلالة الملك عبد العزيز

حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك عبد العزيز آل سعود المعظم ، الرياض

أرفع لجلالتكم توسلات حجاج المغرب في برقيتهم هذه المثبتة أعلاه لتتفضلوا بالنظر اليهم بعين الرأفة .

عبدالله

عمان في ١٩٥٠/٩/٦

جواب جلالته

حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله حفظه الله ، عمان

تلقيت برقية جلالتكم الكريمة ، و يعلم جلالة الأخ أن أسرّ ما الينا هو تسهيل سبيل الحج لحجاج بيت الله الحرام وما يطلب من الحجاج هو لمصلحة أهل الحجاز من مطوّف وغيره ولوسائط النقل لتأمين منازل الحجاج . فإذا كان بإمكان هؤلاء القيام بأود انفسهم و إعطاء الذين يقومون بخدمتهم حقوقهم ، وكان باستطاعتهم تأمين عودتهم حتى لا ينقطعوا مثل ما حصل لأمثالهم من قبل فحبآ وكرامة وعلى الرحب والسعة ، و إن لم يستطيعوا فأمرهم لله ثم لأنفسهم .

الرياض في ١٩٥٠/٩/٦

عبد العزيز

فضائل بيت المقدس

عجيب رأي الدول العربية في مسألة تدويل القدس ، عجيب إلى درجة تبلغ بها حتى إنكار ذلك الاصرار الذي سبق وقامت بمقتضاه كل دولة إسلامية تحملت مسؤوليات خدمة هذه البلدة المقدسة : ولقد كان لاستيلاء المسلمين على القدس معنى غاية في القدسية ومنتهى الرعاية في حفظ السلام ، لا الدخول على هذا البلد للخصام . وقد كتب قائد الجيش الاسلامي حينذاك وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأن بطريرك القدس يقبل تسليمها إلى المسلمين ولكن على يد عمر بن الخطاب نفسه ، فقبل ذلك بسرور وحضر بذاته إلى فلسطين فتم دخول الجيش الاسلامي إلى القدس صلحاً ، واعترف بكافة الحقوق الدينية والكنسية للملة المسيحية . ولما حضرت الصلاة ، وهو حينذاك في كنيسة القيامة ، خرج إلى آخر حدود الكنيسة فأدى الصلاة في محل جامع عمر اليوم ، خوفاً من أن يقول المسلمون هنا صلى عمر فهو مصلّى لا كنيسة . ومن ذلك الحين إلى اليوم لا يتولى الامر على فلسطين سلطان مسلم إلا وأيد وأبقى ما تعهد به عمر رضي الله عنه . وإن ينس المسلم لا ينس صلاح الدين الايوبي ومن قبله ومن بعده من سلاطين المسلمين وأمرائهم الذين تفانوا في سبيل الاحتفاظ بهذا الشرف العظيم . وعليه فكيف قالت دول الجامعة العربية بالتدويل ؟ هذا أمر عجيب ، وهذا سبيل مريب . أما اليوم فالموقف موقف الاردن من يومنا هذا إلى عهد عمر ، فتلك السلسلة المقدسة هي مقيدة في أعناقنا بشروطها وواجباتها ، وفي الوقت الذي أملي هذه الكلمات فيه أراني وسمعي إلى الوفد الاردني في ليك سكسس ، فقد سافر لهذه المسألة ، وقلبي في يدي خوفاً من أن أصادف بعض ما يشق على النفس من الدول العربية قبل الدول الاجنبية . وعلى كل حال فالامر سبق ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .

أما قداسة المسجد فتظهر لمن يريد الوقوف عليها في سورة الاسراء وما احتوت من أوامر واشارات وارشادات ومُثل وعظات . وفي الاحاديث التالية التي تقتبسها من منبعها الذي لا يتطرق اليه الشك والشبهات . لذلك فإننا سنقدر إن شاء الله على كل مشقة تلحق بنا ، وكل نصب يصيبنا . وإنا مع ذلك نأمل تضافر أيدينا مع الدول العربية الشقيقة .

واليك ما جاء من أحاديث نبوية عن فضائل القدس الشريف ، ومن الفائدة بعد هذا أن نذكر فضائل مكة ، وكذلك فضائل المدينة المنورة ، إتماماً للغرض ، ونفعاً لمن يتطلع اليه ، اذ كاد الناس أن ينسوا ما هو واجب عليهم في مساجدهم الثلاثة .

ورد في الحديث الشريف : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى » . وروي عن الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال : « وسط الأرضين أرض بيت المقدس ، وأرفع الارض كلها إلى السماء بيت المقدس » . وعن أبي هريرة أنه قال : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » .

وقال الامام علي كرم الله وجهه : « نعم المسكن بيت المقدس ، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله ، وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم فيه : ليتني تبنة في لبنة في بيت المقدس » . وعن عمران بن حصين أنه قال : « قلت يا رسول الله : ما أحسن المدينة ؟ » . قال : « كيف لو رأيت بيت المقدس » . قلت : « وهل هي أحسن ؟ » . قال : « كيف لا ، وكل من بها يُزار ولا يزور ، وتهدى اليها الارواح ولا تهدى روح بيت المقدس لغيرها ؟ » .

وعن أبي هريرة أن النبي (عليه الصلاة والسلام) قال : « أربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق و بيت المقدس » .

وهناك الشيء الكثير من هذا في الكتب التالية :—

« فضائل القدس » لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري المعروف بابن الجوزي الحنبلي .

« الانس في فضائل القدس » للقاضي أمين الدين أحمد بن هبة الله الشافعي .

« الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى » للحافظ بن عساكر الدمشقي .

« فضل بيت المقدس » لابي سعد عبدالله بن الحسين بن عساكر .

« المنتخب من فضائل بيت القدس » معظمه مأخوذ عن الجامع المستقصى و بعضه عن أبي المعالي بن المرجى .

« فضائل بيت المقدس والخليل والشام » لابي المعالي المشرف بن المرجى بن ابراهيم المقدسي .

« الروض المغرس في فضائل بيت المقدس » للشيخ تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب الحسني الدمشقي .

« اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى » للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المنهاج السيوطي .

« فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها » لمحمد بن محمد بن حسني الكنجي الصوفي .

فضائل مكة المكرمة

هي بلد الله الحرام ، ومعنى الحرام أنها منزهة عن أن يجري فيها أي خصام ، وأن ترتكب فيها الآثام ، وأن يعبد فيها غير الواحد الديان ، الرحيم الرحمن ، وهي كما نطق القرآن الكريم « أول بيت وضع للناس » ومعنى البيت واحد من بيوت الله التي يذكر فيها اسمه والتي يسبح له فيها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره . وهي البلد الواحد في العالم كله التي لها حدود محددة ، لا يُنفر صيدها ، ولا يعضد شجرها ولا يخاف الملتجىء اليها ، وهي كذلك لا يدخل اليها إلا برسم معين وهو الاحرام ، أي الخروج من ملابس الدنيا تباعداً عن الذنوب ، وتنائياً عن لباس الترف والعظمة ، يتساوى فيها المثري بالمعدم ، يضع إزاره بغير خياط على وسطه ويلتف بردائه حاسراً رأسه ، لا يقتل فيها صيداً ، ولا يريق دماً ، ولا يقول سفهاً ، بل يتلبس لباس الكمال ، يدخل اليها حنيفاً موحداً ، بائعاً نفسه لله ، خارجاً من الذنوب ، وبعد أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ، حل إحرامه وتلبس السكينة . يعبد الله ويسبحه أثناء إقامته هناك ، ثم يعود إلى وطنه بعد حجه مكرماً بصفة كونه قام وأدى أحد الأركان الخمسة . ثم هي في عرفنا ، نحن أهل الاسلام ، فيها البيت العتيق ، وبها اجتمع آدم وحواء ، وبها مقام ابراهيم وموطن اسماعيل وبها قبره ، ثم هي قرشية محمدية ، وأول ما نزل الوحي نزل بها ، ثم هي في الجاهلية بها رئاسة العرب وبالاسلام عزهم ، فلله هي حيث هي ، ولله أهلها ، وقد قال الله عز وجل عنهم « والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله » فعلى من أخرجهم ، أو أذعرهم غضب الله .

فضائل المدينة المنورة

وأما المدينة المنورة فبها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي محل هجرته ، منها هزم الله المشركين في بدر ، ومنها قمع الله أهل الشرك بأحد ، ومنها رد الله الاحزاب على أعقابهم ، ومنها افتتحت خيبر ، ومنها كانت الغزوات والسرايا ، وبها اطمأن الاسلام ووضع جرانه على الارض ففتحت الفتوح . وهي عاصمة الاسلام ،وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وهي حرمه صلى الله عليه وسلم كما كانت مكة حرم ابراهيم عليه السلام ، وبها قبر أبي بكر وعمر وعثمان والحسن وفاطمة وأمهات المؤمنين ، وبها المقبرة المحمدية بالبقيع ، وستعمهم الرحمة . هذا في عرفنا نحن أهل الاسلام ، وانها و إن أزيلت بها قباب ومراقد فان حرمتها لا تزول وعن طيب الذكر لا تحول رغم كل حاسد وجاهل . هذان هما الحرمان وهذا ما أوجزناه من فضائلها ، ومن أراد التوغل فعليه بالكتب الكثيرة المعروفة بنشر هذه الفضائل .

نداء الى المسلمين

لا بد لي من كلمة تحريض وحض أوجهها إلى العالم الاسلامي ، اني أحضهم على أن يكونوا إخوة على الحق ، يحرص بعضهم على بعض ، يحترمون معتقداتهم ويقومون عليها ، ويؤدون فرائضهم ويتمسكون بها ، ومتى كان هذا فنصيبهم السلام والسعادة والبقاء . وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بأنهم إخوة ، وأنه لا ينبغي أن يبغي بعضهم على بعض فقال تعالى في كتابه العزيز في سورة الحجرات ناهياً إياهم عن الاصغاء لانباء الفاسقين « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . » والقوم يومئذ لم يكونوا كلهم مؤمنين ، ثم قال تعالى « واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم — فوقفتم عند أمره صلى الله عليه وسلم ونجوتم من العنت — وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون » ، وقد جاء بعد ذلك في الآيات التالية « إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . » ثم قال : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » ، والبغي هو العدوان . فيفهم من هذا كله ما على المؤمن لاخيه المؤمن من واجب يقوم به ، ومن أمر إلهي تبلّغه فآمن به ، فوجب عليه الحرص على أن ينفذه ويمشي وفق إرشاده . ومن المعلوم الفرق بين المؤمنين اليوم والمؤمنين القدماء ، فأولئك باعوا أنفسهم لله وللعقيدة فظفروا ، وفي العصر الاخير نسوا ذلك فانحرفوا . « وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين . » وان لم يعد أهل الاسلام إلى رشدهم ويستمسكوا بفضائلهم فالعواقب وخيمة ، ولا يصلح أهل الاسلام إلا على ما صلح عليه أولهم ، والله ولينا ، وهو نعم الوكيل .

براءة تعيين
معالي راغب باشا النشاشيبي
ناظراً للحرم الشريف وحارساً سامياً للأماكن المقدسة

من عبدالله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية بعون الله إلى فخر الأماثل والأعيان
وقدوة أهل الفضل والشأن، منجز أمور الطوائف والأديان، بالفكر الثاقب
والرأي الصائب، من توشح سوابغ المجد والكرم، وامتطى سوابق
حسن الشيم، وزيرنا وعزيزنا حامل وسام النهضة من
الدرجة الاولى حضرة صاحب المعالي
راغب باشا النشاشيبي

لما عهدنا في شخصك من الصفات الحميدة، وفي نهجك من السابقات الرشيدة، فقد أصدرنا إرادتنا الملكية الهاشمية بتعيينك في منصب ناظر الحرم الشريف والحارس السامي للاماكن المقدسة، مؤملين أن تتذرع بالجهود المثمرة، والآراء النيرة في تعهد المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله، ووفق عساكرنا ومجاهدينا برده إلى عهده المعهود، وورده المورود، وأن توطد كنف الرعاية والحماية لجميع الطوائف وحجاج الامم، وتبذل في صون أمنهم وحرياتهم وحرماتهم وشعائرهم وأماكن عباداتهم أقصى الهمم، وأن ترد كل أمر إلى نصابه، وتضع كل حق في موضعه، وفق الحالة الراهنة المعروفة مما إلى حقوق الطوائف والمساجد والكنائس والبيع جميعاً، ليطمئن الكافة، ويسود السلام والوئام، ومُثل الانبياء العظام، ولتبرز العقائد السماوية في اطار الاخوة الانسانية، في بلد عربي مقدس تجله الديانات، وتقام فيه الصلوات، وترفع الدعوات، وتحفظ الامانات، مراعياً في نهجك العهد العمري والتقاليد الموروثة كابراً عن كابر، في جميع العهود الاسلامية، آخذاً بما في أيدي حضرات البطاركة من فرمانات

سلطانية ، وأوامر مرعية ، مثبتاً سائر الحقوق في سجل معلوم ، ودفتر مخصوص ليراجع عند الاقتضاء ، ويعمل به في البدء والانتهاء ، مقتدياً بالسلف الصالح في إشاعة المكارم وتجنب المآثم ، و إزالة المظالم ، وتوطيد الدعائم ، مهتدياً بمدلول الآية الكريمة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » سدد الله خطاك ، وخصك بالجد الصاعد ، والسعد الساعد ، وحباك البركة واليمن والتوفيق .

صدر عن قصرنا المصلى العامر

في السابع والعشرين من شهر ربيع الاول
سنة الف وثلاثمائة وسبعين هجرية

الموافق لليوم الخامس من شهر كانون الثاني
سنة الف وتسعمائة وواحد وخمسين ميلادية

خطاب سعادة راغب باشا النشاشيبي

مولاي صاحب الجلالة :

الحمد لله الذي كتبني من رجالك الابرار ، وجعلني من جندك المختار ، أعمل في ظل هدايتك، مخلصاً في كنف رعايتك ، متمتعاً على الدوام بعطفك ، قوياً مدى الايام بحبك وثقتك .
الحمد لله الذي جمّل حياتي بارتباطي بك ، وتوج عمري بانتمائي اليك ، فخررني بطاعتك ، وجمعني في زمرتك ، وجعلني لشخصك المحب الوفي ، وأبقاني لعرشك المخلص الامين . و إنه لمن نعم الله يا مولاي وفضله ، أن توليني شرفاً من ينبوع فضلك ، ذلك الشرف الذي يحيط بمنصب ناظر

الحرم الشريف والحـارس السامي للاماكن المقدسة التي كان لك الفضل كل الفضل في ابقائها والمحافظة عليها ، فضربت بذلك أصدق الامثال التي أعادت الى الاذهان ذكرى الصفوة المختارة من خلفاء المسلمين وخيرة الصحابة العاملين المجاهدين ، فان هذا البلد المقدس الامين ، يا مولاي ، أحق المدن بالاعتبار وأجله في نظر أولي البصائر والابصار ، الى مسجده سرى جدك العظيم ، حامل الرسالة عليه أفضل الصلوات.وأزكى السلام ، وفي جواره القريب ولد رسول المحبة والوئام ، فـكان على الدوام بلد الوحي والالهام ، ومبعث النور والسلام .

وها هو اليوم يعود الى سابق عهده من العز والسؤدد ، اذ وجد من جيشك الباسل الدواء العاجل ، في دفع العدو الصائل ، وبقي سليماً مكرماً ترعاه بعطفك ، وتعزه بزيارتك ، وتحرسه بقلبك الـكبير ، فلا عجب بعد هذا ان أردت له حارساً ينشد التوفيق من ارشادك ، ويحرص على نشر المساواة والعدل بفضل حكمتك ، وبعد نظرك ، وسديد رأيك ، فاني وأنا الضعيف سأتخذ من توجيهاتك التي انطوت عليها البراءة الملـكية السامية نبراساً أهتدي به ونوراً أسير عليه ، وأذلل به الصعاب ، وأنفذ به واجبات الحرص على هـذه الاماكن ، والمساواة بين مختلف أهلها ، والعدل المطلق بين طوائفها ، ثم العز كل العز بأنها اليوم في يدك العربية الهاشمية التي عرفها العالم متسامحة محترمة مختلف شعائر الاديان . هذا زمانك يا مولاي قـد ملـكت زمامه ، ورفعت فوق هذه البقعة المقدسة أعلامه ، أيدك الله بالنصر ، وجعل عرشك المـكين غرة في جبين الدهر ، ويسّر لي في خدمتك والتفاني بمحبتك والاخلاص لشخصك وعرشك حسن الختام .

براءة تعيين

حضرة صاحب السماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

رئيساً لهيئة العلماء في المملكة الأردنية الهاشمية

قدوة العلماء المحققين ، معدن الفضل واليقين ، خادم العلم الشريف والشرع المنيف
حضرة صاحب السماحة الأستاذ الجليل رئيس هيئة العلماء الشيخ محمد أمين الشنقيطي

فخر العلماء وحجة الفضلاء قاضي قضاتنا الاسبق ومفتي القدس
الاكرم حضرة صاحب السماحة الشيخ حسام الدين جار الله

حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء هيئة العلماء الكرام

أحمد الله على نعمه وآلائه ، وأصلي وأسلم على خاتم رسله وسيد أصفيائه ، وعلى آله الطيبين ، وصحبه الأكرمين .

أما بعد ، فلما كان سبب خلقة الثقلين عبادة الله العلي العظيم كما قال عز من قال : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ، ولما يقتضينا القيام بأهم تبعاتنا من أمر التمكين للمقاصد الشرعية ، والعوارف الربانية ، والمناهج المحمدية ، فقد أصدرنا إرادتنا الملكية الحسنية الهاشمية بتأليف (هيئة العلماء) لتكون القدوة الصالحة علماً وعملاً ، ومثال الحكمة والخشية من الله «إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، داعية إلى الله على بصيرة « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» ، آخذة بسمت الحق والخير والتعليم والارشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، متطلعة إلى ما يكفل للناس سعادة الدارين والفوز بالحسنيين «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

وانه لما يبدو من انحراف الزمن ، وجعله الكثيرين من الناس في شغل عن أمور دينهم بأمور دنياهم ، حتى نسوا سبب خلقهم وهي معرفة الله ، والقيام بما فرضه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد رأينا عملاً بما أوجب علينا له العزة والملكوت ، من رعاية العقائد والتحلي بمحاسن الأخلاق ، والجهر بالمفروض من صلواتنا وزكاتنا وصومنا وحجنا بعد الشهادتين ، بحيث لا تأخذنا في دين الله لومة لائم ، أن نخولكم مع تأليف هيئتكم المحترمة حق اتخاذ الوسائل الناجعة والطرق النافعة ، في الكشف عن دقيق المسائل ورفع منار الفضائل ، و إرشاد الناس إلى مكارم دينهم ومعالم شريعتهم ، دائبين على ذلك الدأب كله ، عارضين على حضرة صاحب السماحة الأجل الأمجد قاضي قضاتنا ما تقررون وترون في هـذه الشؤون ، ليقوم هو أيضاً بما يقتضي تنفيذه ، معتصمين بالكتاب والسنة ومناهج الأئمة ، مصابيح العلم واليقين والحق المبين ، والحكمة والهداية والرواية والدراية . وبهذه المناسبة للتيمنة أكرر إشارتي أيضاً إلى رجال الحكومة من وزراء كرام وقضاة أعلام ، والى سائر صنوف المأمورين ، ملكيين وعسكريين ، في أن يمثلونا حق التمثيل في الواجبات المترتبة علينا نحو ديننا وطاعة ربنا . و إنا لنرقب أعمالكم في أمل وثقة ، مستعينين بالله ، ومستعيذين بنور وجهه الكريم الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، سائلين من الله لكم التوفيق ولشعبنا العزة والنعمة . والصلاة والسلام على هادي الأمة ونبي الرحمة ، وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً .

صدر عن قصرنا رغدان العامر في عمان

في اليوم الثالث عشر من شهر جمادى الاولى
سنة الف وثلاثمائة وسبعين هجرية

الموافق لليوم التاسع عشر من شهر شباط
سنة الف وتسعمائة وواحد وخمسين ميلادية

جواب سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

سيدنا وقدوتنا ومحط آمالنا

يا صاحب الجلالة .

إنني ورفاقي العلماء خدام دين الله وسنة جدكم الرسول عليه صلاة الله وسلامه ، نرفع لجلالتكم عظيم إخلاصنا وجزيل شكرنا على ما أوليتمونا من ثقة غالية ، وحمّلتمونا من تبعات متتالية ، في أمر لا يقتصر شأنه على الدنيا وما فيها ، بل يتناول اليوم الآخر من حساب على تلك التبعات . ولقد كرمتمونا يا صاحب الجلالة بما حملتمونا وأثقلتم عواتقنا بهذه المنة الجزيلة ، فجزاكم الله عنا وعن الأمة الاسلامية أحسن وأفضل الجزاء ، ووفقنا للقيام بما أوجبتم علينا وأشرتم به الينا . ونحن إذ نتقبل هذه التبعات ، مستعينين بالله ، مسترشدين بتوجيهات جلالتكم، سنسعى إن شاء الله جاعلين الحكمة نصب أعيننا، والرشد رائدنا، والهدى قائدنا، وانبا سنعرض ما نراه ، قبل البت فيه، على سيدنا ومليكنا للاهتداء بثاقب رأيه وسديد حكمته، فيأمر بتنفيذ ما يرى الاستعجال فيه ، ويرجىء ما لا تتسع الوسائل اليه . مع تشميرنا عن ساعد الجد في كل ما أمرتم وبه أشرتم ، راجين من الله تعالى التوفيق في سائر أعمالنا ، غير شاكّين في أن الأمة متعطشة للقيام بما أوجبه الله عليها ، وانها ستكون عند حسن ظن جلالتكم في سلوكها سبل أسلافها الكرام ، ومجانبتها الأخلاق المنافية للفضائل وتعاليم الاسلام ، مواصلة الجد والاجتهاد في اتباع سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وبذلك تفوز بشرف الدارين وتسعد وتعز إن شاء الله ، سائلين المولى عز وجل أن يديم بقاء جلالتكم ذخراً لهذه الأمة ونوراً وملاذاً ، مولاي المعظم .

الجيش العربي

أحب أن أضم الى التكملة من المذكرات هذه الـكلمة عن الجيش العربي الذي وضعت نواته في مدينة معان عام ١٩٢٠ عند وصولي اليها بعد سقوط الملـكية الهاشمية في الشام، بتلك الضربة التي أنزلها بها الجنرال غورو، وتلك الترددات السياسية التي أصابت مَن في الشام من رجالات تحيروا فوهنوا، ثم أضاعوا ما أضاعوا في ذلك الوقت.

كانت هذه النواة مركبة من ضباط وأفراد التحقوا حمية ونخوة، وقد جاء معي من الحجاز عدد منهم، وهم حامد بك الوادي (حامد باشا) وداوود بك المدفعي وغيرهما. ووجدنا في معان عبد القادر بك الجندي (عبـد القادر باشا) وغالب بك الشعلان (غالب باشا) رحمه الله، وغيرهم ممن يبلغ عددهم خمسة وعشرين ضابطاً، وعدد أفراد هذه النواة مائتان وخمسون جندياً، تحركت من معان الى عمان وخُلطت بالقوى السيارة التي كانت موجودة هنا، ووضع بناء هذا الجيش. وعندما قضت السياسة بترك الحركات العنيفة وسلوك سياسة لينة مع فرنسا في الشام، قر القرار على أن يكون اسم هذا الجيش «الجيش العربي»، وقد أُتيحت الخدمة لـكل ضابط عـثماني عربي في سوريا ولبنان وفلسطين حتى ينضم اليه وينضوي تحت لوائه. وبالطبع فـكل عراقي وحجازي متتمة من متممات ايجاد هذا الجيش، وقد سماه البريطانيون "ARAB LEGION"، وقد قام على تدريبه غير الضباط العرب ضباط بريطانيون على رأسهم اللواء بيك باشا، وكانت رتبته حينذاك كولونيل «أمير آلاي بيك بك».

وعليّ أن أقول، والحمد لله، انني نلت اكبر نصيب من التوفيق بيد هذا الجيش الذي لا يُخجل قواده، ولا يوهن أمراءه، ولا يخيب ظن قومه، ولا يتقاعس أو ينكص عن الذود عن حقوقه وحقوق بلاده، فهو الشجاع المقدام، وهو المطيع المنفذ. قضى على ثورة الـكورة في الشمال، وعلى حركة الفساد في البلقاء، ووطد الامن في لواء الـكرك ومعان، وبالاخص

في وادي موسى ونواحيها ، باقدام وحسن خلق . وهذا الجيش تقي الاخلاق ، لا يمد العين إلى ما لا يحل له ، ولا يعتدي ، ولا يغل ، ولا يتهجم على من يلوذ به ، ومع ذلك فقد انتمى اليه عدد غير يسير من الاقطار العربية ، وعاد كل منهم إلى وطنه وهو مقتبس من هذه الاخلاق ، مستفيد من هذه التعليمات ، وقد أشرنا الى هـذا في المذكرات الاولى . والآن نقول إن حركاته بالاحتفاظ بالقدس ، و بسالته في قتـال الشوارع فيها والاستيلاء على الدور المحصنة ، يذكرنا بالمجاهدين الاولين في الاقدام والشهامة . وأما الحركات التي قام بها في الدفاع عن باب الواد واللطرون وفي المثلث نفسه قبل وصول الجيش العراقي اليه ، وكذلك في الاستيلاء على مستعمرات كفار عصيون ونيفي يعقوب، الى سائر ما كان قد وقع في اللد والرملة من دفاع سرية واحدة ثماني وأر بعين ساعة وهي مطوقة بلوائين يهوديين ، وخروجها سالمـة ووصولها بجميع لوازمها إلى أصل الجيش ، يدل دلالة قاطعة على أنه محل مفخرة ، لا للاردن فحسب ، بل لـكل بلد عربي ورجل عربي منسلخ عن الحسد والحقـد . وهو اليوم في عدده وعدده وتشكيلاته يطمئن من هو منهم .

وقد أصبحت قوات الحرس الوطني جزءا متمماً لهذا الجيش الذي هو سبب من أسباب الظفر ، ولطف من ألطاف الباري جل وعز .

الجيش هو جيش فقط ، سيف البلاد وسياجها ، ومدار اعتزازها ، وصوتها وسوطها ، وكيد أعدائها ، وقرة عين مليكها ، هو هو كلما ازداد حصل الامن ، وكلما تمرن اكتوى على تحمل المسؤولية . وان المؤاخاة والزمالة التامتين بين العرب والبريطانيين من المنسوبين لهذا الجيش مما يدعو الى الشكر والثناء .

ومن الاعتراف بالجميل ذكر تناول ما يحتاج اليه من أسلحة وأعتدة من الجانب المحالف البريطاني ، ما عدا تلك الفترة أثناء فتنة فلسطين ، وقد زالت . وانني لا أبالغ إذا قلت إنه إن تقدم هذا الجيش في أي ميدان يُدعى فيه إلى منازلة خصم فهو مستعد استعداد الجيوش الحديثة إذا كانت الفروق في العدد متكافئة ، أو كان العدو أكبر نسبياً منه ، وهذا من فضل ربي .

الكلمة السامية

في يوم الجيش الاردني الهاشمي

٢٥ أيار ١٩٤٩

أيها الجيش الباسل

اليك أوجه هذه الكلمة وأنا ارفع الى الله سبحانه وتعالى آيات الشكر والعبودية ، مثنياً عليه لآلائه ، حامداً له المنن ، شاكراً له الافضال التي منّ الله بها علينا وعليك ، وقد خصك بنفحة قدسية مما شرف به ابن أيوب رحمه الله ، فأنت أيها الجيش حقاً انك وريث الجيش المصطفوي و بقية المنافحين ، والخلف لذلك السلف ، شجاعة ودربة وأخلاقاً ، ولولا الخلق الحسن والطاعة المغروسة في القلوب ، والانصراف الى حصر النفس في الجندية المحضة ، لما حاز أي جيش من الجيوش الظافرة مرماه ، ولا بلغ مناه ، والجيش سياج المملكة وزين الامة ويد السلطة وفخر البلاد . والجيش هو الحصن الحصين والحرز المكين ما دام متصفاً بصفات الرجولة والشجاعة والطاعة . نكرر هذا التخصيص لان للجيوش مرضاً وصحة ، فاذا ساءت أخلاق الجيوش ابتليت بالمرض ، واذا صحت أخلاق الجيوش كانت في عافية من كل سقم . واني بصفتي على رأسكم ومربيكم ومنشئكم أقول انكم لي أعظم مكافأة منّ الله بها علي في هذه الحياة، ولله الحمد والمنة ، وان جيشاً هذه أخلاقه، سيمكن أمته وحكومته بظفر للسلم كما مكنها بسلامة وظفر في الحرب . وان صلتك ايها الجيش بالجيش المصطفوي لهي نسبة بنا . فالجيش المصطفوي الذي قاتل ببدر وانتهى بقتاله يوم الفتح هو الاصل الذي أوجد للعرب جيوشاً فتحت البلدان، وأسست المدنية العربية وثابرت ترقى رقي المتمكن الامين حتى علت منتهى الدرجات في عهد الراشدين وعهد أمية و بني العباس ، ثم كانت فترة تقدمت لخدمة الشرق

جيوش أخرى من اخوانكم التـابعين للسلاطين المسلمين — رحمهم الله — فلم يقصّروا ولم يتأخروا ، ثم أعاد الجيش العربي المصطفوي بنهضته المعروفة ضجيج القدس الشريف ، الناهض بأقوامه العرب أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنه .

واني لآمل أن تكونوا خير خلف لذلك السلف ، فتحمون الاخلاق ، وتعيدون سالف الامجاد ، وان هذا سيتم إن شاء الله بوحدة شامية عامة ، هي من أسس الثورة الاخـيرة المباركة ، يتبعها اتحاد عربي عام .

إنني ولا فخر معتز بكم ، رافع رأسي لما ذكر عنكم ، فاقبلوا تهانيّ مع خالص دعواتي في أن يجعلكم الله للامة قرة عين ، وللبلاد مدار الاعتزاز والبهجة ، مترحماً على شهدائكم ، مؤملاً خير الآمال فيكم .

لكي لا أنسى !

هذه مذكرات رسمية ، بعث بها حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك المعظم — سمو الامير وقتئذ — الى المندوب السامي في فلسطين ، قبل سنوات عديدة من وقوع الكارثة العظمى . وهي ان دلت على شيء ، فانما تدل على الذكاء الخارق ، وبعد النظر الصائب ، والاخلاص العميق للعروبة ، كما انها تدل على قصر نظر قادة الحركة العربية في فلسطين الذين كانوا — كلما ارتفعت الصيحة الهاشمية بالنصح والارشاد والتحذير — يضعون اصابعهم في آذانهم ويولون عنها معرضين ، حتى ادلهم الخطب ، وعمت النكبة التي ما نزال نعاني ويلاتها وشرورها حتى الآن .

وسيلاحظ القارىء ان جلالة الملك المعظم هو اول من تنبأ لعرب فلسطين بالتشريد والابادة إن ظلوا ماضين في سياستهم الخاطئة ، وهو اول من انذرهم بالعاقبة الوخيمة التي ستحل بهم ان بقوا يعتمدون على « البكاء والعويل » واستنجاد « من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً » . وسيجد القراء ، في الكتاب المرسل من لدن جلالته الى المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد نبوءة صادقة ، فقد كانت خرافة « ان العالمين الاسلامي والعربي يشدان ازرنا ويجاهدان في سبيلنا » ، كانت هذه الخرافة مسيطرة على اذهان عرب فلسطين وقلوبهم ، فلما آذنت الساعة بشد الازر والمعاونة ، حدث ما يعرفه الجميع من تخاذل ، وخُلف ، و إخفاق .

وها نحن نعض اصابعنا ندماً على ما فرّطنا في واجبنا القومي بعدم الاصغاء الى نصائح العاهل الكبير عميد الدوحة الهاشمية المطهرة . فاعتبروا يا اولي الالباب .

هيئة النشر

احتجاج على تدفق اليهود بكثرة على فلسطين

حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي لشرق الاردن

عزيزي صاحب الفخامة

بلغني نبأ عودتكم إلى القدس بما آمل لفخامتكم من سلامة وخير ، فأهنئكم مرة اخرى وأشكركم على كتابكم إلي قبل سفركم ، واطمئنكم بأن شقيقي جلالة الملك علي الذي سألتم عنه بصورة خاصة متمتع بالصحة والعافية ولله الحمد ، وقد كلفني أن أشكر لفخامتكم عنايتكم ومودتكم .

إني لا أقدر أن أكتم اغتباطي بما حصل من حكمة في تصريف الامور في فلسطين خلال الاضراب الاخير الناجم عن تدفق المهاجرين اليهود اليها من ألمانيا في الاخص ، وتسللهم من شتى الأقطار في الأعم ، وبهذه المناسبة أجد من المحتم أن أشرح لكم بعض ما يجول في نفوس العرب فأقول :

إن العرب في فلسطين يعتقدون بأن اليهود أرادوا أن يستغلوا مصيبة طردهم من ألمانيا للاسراع في إنفاذ رغبتهم المعلومة في تهويد فلسطين . وقد كشفوا عن نياتهم المكنونة بنزق استنفد صبر العرب ، فوق أن العرب في فلسطين يرون أنفسهم يُغزون في كل يوم ، وأن هؤلاء الغزاة المنبوذين من بلادهم الاخرى يجب على فلسطين أن تقبلهم ، وأن ترحب بهم ، وأن ترضى بما يحملون اليها من عادات وأخلاق لا تشاكل قدسيتها . فاذا قام في أنفس العرب ، المسلم منهم والمسيحي ، أنهم في خطر الزوال ، وعلى شفى الانحلال من هؤلاء الدخلاء الذين ينصبون عليهم من كل صوب ، فلا أخالهم ملومين ولا سيما بعد أن رأوا شعباً عظيماً كالألمان في

دقة نظامهم وعلو كعبهم في الحضارة وشؤون الحياة يخشون على كيانهم وأوطانهم من هؤلاء اليهود الذين لبثوا غرباء عنهم على الرغم من اتصالهم بهم أحقاباً طوالاً في الوطن واللغة والدم والمصلحة ، فكيف بالعرب في فلسطين وقد ورثوا مصائب الأجيال السابقة ومتاعبها، وما كادوا يستبشرون بأن فجراً من الدعة جديداً انبثق لهم على أثر الهدنة بعد الحرب العامة حتى فوجئوا بما فوجئوا به من الهجرة اليهودية الساحقة ؟ ولقد صرح لي كثير من عقلاء العرب بأن خوفهم من المستقبل يتفاقم كل يوم بعد ما فعل الألمان في اليهود ما فعلوا ، ويرون أن دولاً اخرى قد تحذو حذوهم ، فكيف يكون موقف العرب في بلادهم الفلسطينية عند ذلك ؟ وكيف يدرأون عن أنفسهم تلك الطامة الكبرى وهم يشهدون بلاداً تقذف اليهم باليهود المثقفين ثقافة أوروبية كاملة في العلم والحرف وفي الأمور الميكانيكية والعسكرية كيهود ألمانيا الذين لا مشاحة في أنهم حذقوا هذه الامور كلها وعرفوا سائر مقتضياتها ؟ ثم إن العرب يرون فضلاً عن ذلك أن تقارير الخبراء الموفدين إلى فلسطين من الحكومة البريطانية الفخمة تتفق وآراءهم وشكاويهم في كثير من النقاط ، ويبقى مع ذلك كل شيء على حاله على الدوام من غير تغيير .

لقد صرحت في كتاب لي سابق لدار المندوب السامي مؤرخ في غرة جمادى الأولى ١٣٤٨ الموافق ١٥ تشرين الأول ١٩٢٩ بأن فلسطين عرضة لمباغتات شتى ، وأن اليهود غير مقصرين في تحديهم للعرب ، وأنهم أضافوا إلى مشكلة الوطن القومي مشاكل فوق مشاكل . وإني بدافع التعاون النزيه ، وقياماً بما يوجبه الجوار المرتبط بالمصلحة المشتركة ، لا أجد عن المصارحة من مندوحة . وها إني أعيد اليوم ما قلته بالأمس وأزيد عليه بأن الوطنية المتأججة في صدور تلك الشعوب بعد الحرب هي التي تدفعهم إلى المظاهرات والاضرابات وما تجر من عواقب ، وأن الروح هي نفسها التي تحمل عرب فلسطين على مثل ذلك ، يضاف اليه الخوف من الانقراض الذي أخذت بوادره تظهر بصورة مزعجة في أنحاء البلاد ، وتهدد ما يجاورها من أقطار عربية تنظر إلى تلك المأساة بحزن عميق ، قد يستحيل غداً إلى حماسة تخل بالأمن وتعكر صفو السلام وتكلف الحكومة ما تكلف من جهد ونفقة .

إني غير يائس من استنباط الوسائل الناجعة لدفع تلك المحاذير ، وأقول إن الوقت قد حان لايجاد المعقول من حلول حثيثة إن لم تقبل بحذافيرها فلا أقل من انها تبث الطمأنينة في النفوس وتمدها للوئام ، وأرجو أن يقع كلامي لدى الحكومة الجليلة البريطانية عن طريق فخامتكم ، الموقع الذي أردته منه ، حباً في الخير والراحة لفلسطين وبلادي المجاورة التي أخذت تساورها أفكار ومخاوف فلسطين ، ولما يتاخمها من أقطار عربية وللحكومة البريطانية التي تربطني بها أواصر الصداقة الخالصة والذكريات الغابرة من جهاد مشترك لا يُنسى .

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام .

صديق فخامتكم المخلص

عمان ٢٩ جمادى الاخر سنة ١٣٥٢
وفق ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٣٣

بيان مخاوف العرب في فلسطين

حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامى لشرق الاردن

عزيزى صاحب الفخامة

إني لأجد من المحتم علي أن أطلق لساني بالبيان التالي حراً غير مقيد بصفة كوني صديقاً شخصياً لفخامتكم يعلم ما تعانون من أعباء ، وكنجل لحليفكم في الحرب العظمى العالمية كانت لجيوشه (المعونة الفعالة في ميـدان فلسطين) كما صرح بذلك فخامة وزير المستعمرات في خطابه الذي القاه في مأدبة العشاء المقامة لي في لندن في ٢٦ حزيران ١٩٣٤ ، وكحاكم لقطر عربي مجاور لفلسطين، وكمسلم شريف على مقربة من مقدساتها وفي الأخص من مسجدها الأقصى ، وكزعيم يحمل من مسؤولية الثورة العربية قسطاً غير قليل ، وكمطلع على ما وصلت اليه حالة أبناء قومه العرب في فلسطين . ولذلك أقول :

١ — لقد علمت من حضرة صاحب الفخامة وزير المستعمرات أن حكومة جلالة الملك وضعت ثقتها كلها في شخص فخامتكم ، وأنكم لديها المرجع الوحيد الذي يعول على رأيه في قضية فلسطين . إني مع شعوري بخطورة هذه المسؤولية لم أستطع كتمان سروري من ذلك النبأ لثقتي بما بين شخصكم الـكريم وبيني من التفاهم الحسن وصلات الود الأكيدة ، ولأني أعرف في نفسكم الـكريمة حب العـدل المطلق والتمييز الصحيح لما يربط مصالح حكومتكم وأمتكم النبيلتين بالعرب دون سواهم في الشرق الادنى . ثم إني فهمت من فخامة الوزير كذلك بأن ما كان شائعاً بيننا نحن العرب من أن لليهود في بريطانيـا العظمى المقام الأرفع لوجود بعض زعمائهم في مناصب حكومية عليا وفي مجلس العموم البريطاني ، وأنهم قادرون على تصريف السياسة البريطانية فيما يعود على جنسهم بالمنفعة التامة دون سواهم ، لم يكن بالامر

الواقع ولا هو بالاعتقاد الصحيح ، وأن الحكومة البريطانية على العكس من ذلك تمضي في خطتها العادلة وعلى تقاليدها القومية غير متأثرة بمثل ما ذكر .

و بناء على ذلك، وعلاوة على ما بينته فيما سبق من أسباب ، رأيت أن أكتب لفخامتكم عن قضية العرب في فلسطين لأن الوقت قد حان ، ولأن الصبر اكثر من ذلك يُعـد تقصيراً فاضحاً في حق قومي العرب وحق أصدقائهم البريطانيين .

٢ — ان العرب يحملون آلاماً مبرحة لأنهم لم يروا نتيجة فعـالة لتقارير البعثات البريطانية التي أوفدت إلى فلسطين للبحث عن حقيقة الحال فيها في السنوات الماضية ، فضلاً عن الكتاب الأبيض الذي أصدره وزير المستعمرات السابق اللورد باسفيلد ، على خطورة تلك المستندات و بالرغم عما اشتملت عليه من حقائق .

٣ — إن الوعود التي قطعت للعرب أثناء الحرب العالمية كانت سابقة لوعـد بلفور وأعظم وضوحاً منه . وتلك الوعود هي التي حملت عدداً عظيماً من أبناء فلسطين، جنوداً وضباطاً وأهلين ، على الفرار من الجيوش التركية للانضواء تحت لواء والدي الملك في الثورة العربية التي قاتل أبطالها جنباً إلى جنب مع القوات البريطانية ، ولم يكن للصهيونيين في تلك البلاد وجود سياسي البتة في ذلك العهد ، ولا كانوا فريقاً من أهلها بوجه من الوجوه .

٤ — إن التصريح المشترك الذي صدر في نوفمبر ١٩١٨ من الدولتين الحليفتين بريطانيا العظمى وفرنسا للعرب خاصة بأنهم « لا يُرغمون على قبول أي شكل حكومي يأبونه، وانما يُشجعون على إنشاء حكوماتهم الوطنية ، وتبذل لهم المساعدة اللازمة لتوطيدها ونجاحها » يجب أن ينظر اليه بالاهمية التي يستحقها وتجدر به عند النظر في تطبيق وعد بلفور في فلسطين.

٥ — إن وعد بلفور ينص على أن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين ولـكن ظواهر

الحال تدل على أن اليهود استطاعوا بمختلف الأساليب — ولم يُعارضوا في ذلك — أن يضعوا خطة أخرى تجعل من فلسطين كلها وطناً قومياً لليهود ، وأنه إذا نظر أي منصف إلى ما كانوا عليه في أوائل الهجرة إلى البلاد والشوط البعيد الذي قطعوه في استعمارها إلى الآن ، رأى أن نجاحهم يكاد يكون تاماً وأنهم بالغون ما أرادوا في بضع سنين .

٦ — إن وعد بلفور يشترط عدم الضرر بمصالح السكان العرب ، و بعبارة أخرى إنه يطلب أن تُصان مصالح العرب كافة ، غــــير أن العرب يرون في دوام الهجرة اليهودية إلى فلسطين وفي تدفقها غير الرسمي اليها تهديداً صريحاً لـكيانهم ، ونقضاً فاضحاً لذلك الوعد على علاته ، وفوق ذلك لا تزال مخاوف الساسة العرب قائمة من كون باب البيع للاراضي لا يزال مفتوحاً على مصراعيه وفي كل يوم تنزع من أيدي العرب أرض بعد أخرى . إني أعلم أن ذلك لا يوقف بالاكراه ولـكن ألفت نظر فخامتكم إلى الظروف القاسية التي وقع فيها العرب، والى التنظيم الصهيوني المحكم إزاء ذلك ،والى أن الحـكومات في مثل هذه الظروف هي التي تقف دون ضياع الشعب والقائه بنفسه في التهلـكة ، وأنه لو كان له ممثلون في مجالس نيابية أو تشريعية لاستطاع هؤلاء الممثلون أن يقوموا بنصيبهم في الدفاع عنه ودرء الخطر الداهم .

٧ — لقد كانت حماية الضعيف أجل الأغراض السامية التي قامت من أجلهـا الحرب العالمية السابقة ، وما أجدر هذا المبدأ الشريف أن يُذكر في أوان السلم عند النظر في حالة العرب في فلسطين بعد أن ضحوا ما ضحوا أثناء الـكفاح ، وفي الوقت الذي لم تكن بلادهم فيه ملـكاً لغيرهم أو فيها مزاحم لهم .

٨ — إن الهجرة اليهودية قد نقلت إلى فلسطين أجناساً متباينين من الخلق يحملون مبادىء شتى ونزعات مختلفة ، جعلت هذه البلاد الهادئة المقدسة في قلق دائم وتعب مستمر ، فوق أنها أصبحت بؤرة لمخاطر اجتماعية مقبلة تظهر بفظاعتهـا الشنيعة عند أول اختلال عالمي

ويعم فسادها البلاد العربية في الاخص ، والشرق الأدنى في الأعم ، ولا اخال حكومة فلسطين إذا تعمقت في البحث إلا منتهية إلى ما انتهيت اليه من هـذه النتيجة ، و بعض جمعياتهم السرية التي انكشف أمرها أمام الحاكم يؤيد ذلك .

٩ — ان اليهود قد حاولوا ولا يزالون يحاولون مجاوزة ما ذكر لهم في الوعد ، وبهذا قد تسببوا في ايجاد فكرة ثابتة في الأذهان العربية هي أن مملكة يهودية قائمة في فلسطين تستتر تحت اسم الوطن القومي ، وفي هذا ما فيه مما يجعل المخاوف تتسرب إلى ما وراء فلسطين من البلاد العربية ، وحتى إلى الأشخاص الذين يتقلدون فيها مسؤوليات كبرى ، ولم يُقم اليهود دليلاً واحداً على إمكان امتزاجهم بالسكان العرب الأصليين . وكنت أود من صميم فؤادي لو استطاعوا أن يكونوا غير ما هم عليه .

١٠ — لقد دلني الاختبار أن بقاء الحالة الراهنة كما هي من الهجرة غير المحددة وما سوى ذلك مما يشكو منه العرب ستظهر نتائجه السيئة المخيفة في المستقبل القريب . إني أشعر أن ذلك المستقبل لا ينظر اليه اليوم بما يستحق من تفكير ، وإنما يداوى الحاضر بالحاضر ، ولذلك لا يزال يقال إن هناك مجالاً يستوعب مهاجرين جدداً ، وإن هنالك أرضاً يستطاع بيعها ، ولكن أرجو أن تفكروا معي يا صاحب الفخامة بذلك المستقبل وأن تنظروا معي الى ما يخبئه من مشاكل يستعصى حلها إذا استمرت الحال على هـذا المنوال من دوام البيع والهجرة وأصبحنا من ذلك المستقبل وجهاً لوجه .

يا صاحب الفخامة

إني أضع بين يدي فخامتكم هذه المسائل التي أقضت مضاجع العرب في فلسطين وخارج فلسطين . واذا قلت لفخامتكم إن العالم الاسلامي كذلك في قلق منها لم أكن إلا على ثقة مما أقول ، وعلى صواب مؤكد ، ولذلك رأيت أن ألفت نظر فخامتكم الى هذه الأمور المعقدة التي أؤمل أن يكون تفريجها على يدكم باذن الله .

إني لا أنكر أن مصالح بريطانيا العظمى قد اتسع نطاقها في فلسطين وغيرها من بلاد العرب بعد الحرب، أفلا تشعرون معي، بعد هذا كله، أن استبقاء المودة الصادقة التي يشعر بها العرب نحو أمتكم النبيلة من الأمور الجوهرية الواجبة بالعناية والجديرة بالرعاية ؟

إني ساع وأسعى بكل ما رزقت من قوة لتأييد تلك الروابط بين الأمتين، لاعتقادي الجازم بأن توطيدها في مصلحة العرب كما هو في مصلحة الانكليز، واني لا أجحد أن قومي العرب في فلسطين قد وقعوا في خطيئات سياسية عديدة، وانما مرد ذلك كله عندي الى ما ساورهم من خوف على كيانهم المهدد. وانه لمن الطبيعي أن لا يُنتظر من شعب هذه حاله أن يظل على رويته المعروفة عنه، أو في تفكيره الهادىء الواجب منه، ولذلك فهم يستحقون اغضاء النظر عنهم لما فرط منهم، فعذرهم في ذلك واضح بيِّن.

يا صاحب الفخامة

إني أنقل اليكم مخاوف قومي العرب في فلسطين صريحة كل الصراحة، ومجموعة على قدر الامكان في هذه المذكرة، وأرجو أن تعدوا ذلك مني مساعدة لفخامتكم في واجبكم الشاق الذي تضطلعون به، واخلاصاً مني لقومي العرب وأصدقائي البريطانيين على السواء.

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق الاجلال والتحية.

صديق فخامتكم المخلص

عمان في ٢٥ تموز ١٩٣٤

دفاع عن العرب في ثورة ١٩٣٦

عزيزي السير آرثور ويكهوب

لقد غبر زمن لم أبعث اليكم فيه بأية رسالة — تخفيفاً من ناحية ، وترقباً للحوادث من جهة أخرى — ولقد سمعت خطابكم بالراديو منذ ليال ولمست فيه حسن النيـــة والرغبة في الخير ، ويسوءني أن يخطىء إدراك تلك الغاية المتوخاة منه وفهمها كما يجب غـيري من الناس الآخرين ، كما دل على ذلك ما كتبوه في الصحف وما وصل إلي من أخبارهم عنه . ثم إنه من المعلوم أن رسائلي الأولى كانت ودية ، وفي الوقت ذاته رسمية ، وقد احتوت آرائي بشأن ما تعالجون من مشكلة فلسطين ، وقصاراي من ذلك كله إنما هو توفيقكم وسلامة العرب في وطنهم، وعدم حرمان اليهود من مكتسبهم. أما رسالتي هذه فشخصية محضة سالمة من أية صفة رسمية ، مجردة من كل ما توحيه العاطفة وتدعو اليه .

يجب علي قبل كل شيء أن أوكد لفخامتكم بأن الموقف يزداد خطورة في كل يوم ، وأن العرب الذين يدافعون في فلسطين عن وطنهم وعنصرهم قد وطنوا النفس على الاستمرار فيما هم فيه حتى يبيدوا أو يسلموا ، والله وحـده أعلم بالصعوبات التي أكابدها في سبيل السلام في شرق الأردن بينما الصرخات من فلسطين تشق مسامع الأمة كل يوم ، ورسائل الاستفزاز تتطاير بينها ، والمتحمسون يستقتلون في تحريك عواطفها بشتى الطرق من دينيـة وعنصرية ، ولا بد أنكم سمعتم بالمؤتمر الذي عقد في قرية أم العمد برئاسة مثقال بن فايز وقد تم تدبيره قبل علمي به، ولقد كاد أن يضم اليه مشايخ البلاد كافة، فحلت بين مدبريه و بين حشد المشايخ اليـه لئلا يخرجوا بالتشويق إلى غير ما أرغب فيه لهم من سلامـــة ، وأملاً مني بأن الحكمة في معالجة قضية فلسطين ستغلب في آخر الأمر. ومن حركة هذا المؤتمر الاردني ترون فخامتكم ما

وصل اليه صبر الناس ، وما بدأ يتغلغل في النفوس ، بعد أن مر على المشكلة ما يقارب ثلاثة أشهر ، والعرب في موقفهم والحكومة في موقفها .

إني لأود أن أبين لفخامتكم شيئاً من طبيعة العرب وحالتهم النفسية فأقول : إنه كلما اشتدت الوطأة العسكرية ازدادت معها الاستماتة القومية. ولا شك عندي — من استقراء الاحوال — انكم تظنون وتعتقدون بنفع الحركات العسكرية ، وما الحركات العسكرية إلا للفتح وطرد الاعداء كما هو معلوم ، وأما المشاكل التي تحدث بين العناصر فأنجع حل لها اتقاء سورة النفس بما يحملها على القناعة بأنها تعامل بالعدل والانصاف ، وبالطرق الواضحة التي يرى الناس فيها عياناً رغبة الحكومة مجسمة في دفع البلوى و إزالة الشكوى . و إني أوكد لكم بعد هذا كله، ولا تخامرني في ما أقول ريبة البتة، بأنه ليس معنى التسامح مع الحلم عند العرب أي ضعف ، بل هو بالعكس دليل عندهم على العدل والحكمة والمقدرة السياسية في إدارة الشؤون . إن فلسطين تشكو الهجرة اليهودية وطغيانها ، ولم تقل انها تريد إخراج من دخل اليها حتى الان من اليهود ، و إن تكن هجرتهم على غير رضى العرب ودون استشارتهم بصفة كونهم أصحاب البلاد الاصليين ، فلا عليك يا عزيزي إذا استقدمت اللجنة الملكية دون اي شرط . وأحب بهذه المناسبة أن الفت نظركم الى الفرق في العقيدة بهذه اللجنة الملكية بين امس واليوم عند العرب ، فان الدعاية ضدها تتفاقم باستطالة الوقت وأخشى أن يزول كل أمل فيها ، وستكون النتيجة الحتمية لذلك سفك الدماء وتخريب الديار وفظائع وأهوال يمكن الاستغناء عنها بالمبادرة وسعة الصدر ، ومعاملة المذعور المهتاج بما يخفف ذعره وهياجه ، أو أن تقوموا فخامتكم باعباء وظيفة اللجنة نفسها كما قام اللورد اللنبي في مصر فأنقذ الديار المصرية والحكومة البريطانية من مشكلة كان من المؤكد انها ستزداد تعقداً لولا سعيه الجري، فحل الأزمة المصرية في أحرج أوقاتها ولم يغض ذلك من مقام بريطانيا العظمى ، وما رميت بالضعف أمام العنف ، وها هي ثمرات ذلك المجهود تقتطف اليوم . إن الاراء العامة في فلسطين وشرق الاردن على

وثيرة واحدة ، وإنني ساهر يقظ على استمرار السياسة السلمية في شرق الأردن والحئول دون ما أحس بقربه من انفجار فيها إن دامت البلوى في فلسطين أو كان علاجها السيف الباتر وحده، وقولي هذا عن علم ويقين ، وإني إذا ذكرت ما ألمعت اليه من قبل في كتابي هذا من ألوان الاستفزاز فلست أنسى قرار محكمة العدل في فلسطين وأنه زاد الناس في كل جهة ايماناً بعدل قضيتهم، وأن ما يدافعون عنه هو الحق وأنه كله بجانبهم، ولقد تجلت آراء الموظفين العرب لفخامتكم بما انطوت عليه مذكرتهم اليكم وعدواها تجد سبيلاً إلى الموظفين هنا في شرق الاردن، والميول تتقارب وتنمو كلما طال الوقت .

عزيزي

أرجوك أن تقرأ كتابي هذا سراراً وأن تتلقاه كنصيحة أخ لأخيه ، ولا أقول الا شيئاً واحداً وهو أنكم إذا نظرتم إلى الخرابات المنتشرة في هذه البلاد المنكودة الحظ أنبأتكم بلسان الحال انها وليدة القمع والحركات العسكرية من مختلف الدول ، وأن آباء العرب وأجدادهم ورثوهم ذلك من قبل فدرجوا عليه واصبح عندهم مألوفاً ، وأما الذي توقعوه من الحكومة البريطانية فغير ذلك جميعه، فلم تكن بريطانيا عندهم كتلك الحكومات السابقة، بل رأوا أن عندها وسيلة أخرى في حل المشكلات وهي الطريقة المأثورة عن البريطانيين في الشرق قاطبة، من عدل وسعة صدر وأخذ الأمور بالاناة. وبالجملة ان عند بريطانيا علاجاً لذلك بأسره غير الحديد والنار — وأنه العلاج الذي لم يكن في يوم من ايام تاريخهم بالناجع المفيد — ذلك هو الأمل الشائع بينهم حتى الساعة ، على الرغم من كل ما هو حاصل من تدابير القمع ، وأن حرصي على هذه العقيدة هو الذي يدفعني إلى أن أحملكم فوق متاعبكم مؤونة كتبي ورسائلي ، على أن الدافع اليها في كل حال هو إيثار الخير وحده لمن عندي ولمن عندكم، وعملا بما أضمر لكم من حب التوفيق والمودة الشخصية والله يحفظكم عزيزي .

عمان في ١٠ تموز سنة ١٩٣٦ — صديق فخامتكم المخلص

كتاب الى عبد الحميد سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأصلي على نبيه وآله وصحبه أجمعين

من عبد الله بن الحسين بن علي الى حضرة السري الفاضل عبد الحميد بك سعيد
رئيس جمعية الشبان المسلمين بمصر

سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد فاني أحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه، ولقد تلقيت كتابكم الصادر عن القاهرة بتاريخ ٢ ربيع الاخر ١٣٥٧ في صدد القضية الفلسطينية والاقتراح الذي ألهمتنا إياه معرفتنا بفلسطين، وأننا على كثب منها نسمع ونرى. أما كتابكم الكريم فملؤه النصيحة والاخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين ولنا، فجزاكم الله عنا أفضل الجزاء، وذلك علكم فلا ضير. أما الحقيقة فها هي اليكم موضحة على الوجه الاتم، وبعد الاطلاع عليها فان لكم ما تقولون: لقد وصلت إلى شرق الاردن عام ١٩٢١ على أثر سقوط سوريا بيد الافرنسيين بالطريقة التي اثبتتها الوقائع كما ذاع نبأها وشاع. ويسّرالله لي أن سعيت خير سعي في تأسيس الدولة العراقية عن يد أخي المرحوم فيصل، ووفقت الى إيجاد حكومة شرق الاردن مع استثنائها من تصريح بلفور الذي كان قد شملها، لأن عهد سايكس ـ بيكو جعلها ضمن منطقة النفوذ البريطاني، وذلك من أمد سبقني، وكانت أول حادثة بين اليهود وأهل فلسطين هي التي وقعت في يافا في ربيع ١٩٢١ ثم سكنت ثائرة الناس وأخذ الوعد ينفذ بكل سكينة واطمئنان ورضي المسلمون برئاسة المؤتمر الفلسطيني للمرحوم موسى كاظم باشا الحسيني وبالافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي بفلسطين للحاج امين الحسيني،

واليهود يزداد عددهم و يرسخ نفوذهم ، أما بعد اعوام ، من وقت هربرت صموئيل إلى بلومر إلى تشانسلر إلى ويكهوب فالسير مكمايكل ، وبعد أن كان اليهود في عام ١٩٢١ لا يتجاوز عددهم مئة الف أصبحوا اليوم أربعماية وخمسين الفاً وقد تملكوا من الارض أخصبها وحلوا حلولاً في كل فج وواد وسهل ووعر ، من بئر السبع إلى الحولة ، بحيث لا يمر العربي من قرية إلى أختها إلا رأى أخرى يهودية تفصل بينها و بين أخواتها . والان أيها الأخ المسلم ترى أن دعائم الصهيونية في فلسطين هي ثلاث : الوعد البلفوري ، والامم الاوروبية التي قررت إخراج اليهود من بلادها مشيرة اليهم بفلسطين ، ومتطرفو العرب الذين لا يقبلون أي حل مكتفين بالبكاء والعويل مستصرخين من لا يجديهم نفعاً ، وهذه فلسطين تلفظ النفس الاخير . وعلى ما بلغني إن اليهود طلبوا بقاء الانتداب كي يتسنى لهم إبتياع أرض جديدة و إدخال مهاجرين آخرين . وفلسطين لا تشابه في محنتها اي قطر غيرها إذ أن محنة مصر مثلاً كانت في الاحتلال الاجنبي وكان دواؤه المطالبة بالحق و إدامة القلق فوصلت مصر اليوم إلى بعض أمانيها ، وتلك الحال كانت في العراق ومثلها في سوريا . أما فلسطين فتعاني خطر استيلاء شعب آخر عليها ودواء داء فلسطين هو الاسراع في توقيف الخطر وتحديد الهجات، ثم التفكير في دفع ذلك كله دفعاً تاماً. وأما المطاولة فتقتل فلسطين. ولذلك، ولاعتقادي الجازم بأنه سوف لا يجدي التشكي شيئاً ، لأن الحكومات الاسلامية الشرقية التي في عصبة الامم لا يمكنها في حالتها الحاضرة مع ارتباطاتها بمعاهداتها المعروفة الطويلة المدى مع الحكومة صاحبة الوعد على فلسطين، أن تكون في موقف المناضل المؤثر، ولأن أهل فلسطين قد اكتفوا بالاحتجاجات، رأيت من واجبي الديني الذي أدين الله عليه ، ومن مقتضيات قوميتي السعي لحسم الغائلة بايجاد توحد فلسطين وشرق الاردن فتزيد نفوس فلسطين نصف مليون من إخوانهم هنا كرة واحدة، فوق أنهم يقبضون على زمام إدارة هذه الدولة بيد قادرة ، ومجلس نيابي يمثل الامة ، و بجيش يدافع عنها ، موحدة ماليتها ، مراقبة سواحلها ، موصدة أبوابها دون كل هجرة سرية ، فتتنفس نفساً يمكنها من التماسك

ويمكن أخواتها من الدول الشرقية المجاورة، إلى ذلك الحين، من قطع شوط غير قصير تتوثق فيها صلاتها وتشتد روابطها، فتعالج المسألة عند ذلك بعين أبعد نظراً و بيد أقوى عضداً مع فكرة موحدة. هذا ما ساقني إلى ما بلغكم. والآن أحب أن أعلم إذا كان لديكم ما هو أنفع مما عرضت؟ أو كنتم ممن يعتقد بأن لا بأس من دوام الانتداب الحاضر الذي فيه كل الضرر بالرغم عما هو جالبه من مستولين يهود، مع العلم بما اثبتته الحوادث من عدم قدرة رجالات فلسطين الذين يديرون دفتها السياسية على منع إخوانهم من بيع الارض. كما هو مرئي للجميع في الخارطة التي وضعتها لجنة سمبسون، ثم في الاخرى التي رسمتها لجنة بيل إن ذلك يشهد بأفصح بيان كيف أن العرب يسرفون في البيع كما يسرفون في العويل والبكاء الذي لا طائل تحته، فاذا دققتم النظر في ذلك كله انكشف لديكم القناع ووقفتم معنا على حقائق محزنة. ولقد هالني أن أرى الاجماع على عدم المبالاة بالكارثة الناجمة عن الاستيلاء وابقاء الحالة الحاضرة التي هي سبيل الى جعل فلسطين بعد عامين كلها يهوداً. ولذلك اقول «اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون».

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

٦ ربيع الاخر سنة ١٣٥٧
وفق ٥ حزيران سنة ١٩٣٨

نص الاقتراح لحل المشكلة الفلسطينية

المرسل الى الحكومة البريطانية

١ — تتشكل مملكة موحدة عربية من فلسطين وشرق الاردن تحت يد ملكية عربية قادرة على القيام بمهمتها وتنفيذ تعهداتها .

٢ — تعطي هذه المملكة إدارة مختارة لليهود في المناطق اليهودية التي تتعين خريطتها بواسطة لجنة تتألف من رجال بريطانيين وعرب ويهود .

٣ — يكون لليهود التمتع بكامل ما تتمتع به أية إدارة مختارة .

٤ — يمثل اليهود في برلمان الدولة العربية بنسبة عددهم ويؤخذ في وزارة الدولة الموحدة وزراء منهم .

٥ — تنحصر الهجرة اليهودية بنسبة معقولة الى تلك الاراضي التي ستكون فيها الادارة المختارة .

٦ — لا حق لليهود في أن يطلبوا شراء أرض او ادخال اي مهاجر خارج المناطق اليهودية .

٧ — يكون هذا التكييف لمدة عشر سنوات منها ثمان سنوات للتجربة ، والسنتان الباقيتان لاعطاء القرار النهائي بالمصير واعلان استقلال البلاد وانهاء الانتداب .

٨ — اذا آنس العرب من اليهود حسن النية والامتزاج ورأوا انه لا بأس من هجرة عدد مناسب الى اراضي الدولة الموحدة فذلك من حق العرب .

٩ — يبقى الانتداب في هذه المدة بشكل ادبي صرف لا يتجاوز حدود الملاحظة والمراقبة في الدولة الموحدة :

١٠ — لا أعتراض على بقاء الجيش البريطاني مدة العشر السنوات هذه .

١١ — عند مضي السنة الثامنة ودخول السنة التاسعة يجب على حكومة الدولة الموحدة وبرلمانها اعلان القرار النهائي وتنفيذ ما يقع عليه الاختيار .

١٢ — ان ما لبريطانيا العظمى من مصالح تجرـــى المذاكرة فيها من الان كمشروع معاهدة تهيأ لتبرم عند نهاية العشر السنوات واعلان استقلال البلاد ، اما مشاريع الاصلاحات العامة في المالية والري والجيش وطرق المواصلات وغيرها من سائر فروع الدولة فتجري على وتيرة واحدة و بيد واحدة .

الخاتمة

لعلّي وفيت ما عليّ نحو امتي بما ذكرته من حقائق وامور ، وما تحدثت عنه في موضوع العرب اليوم ، وما سردت من آراء عامة وشرحت من تفكير قومي ، ولعلّي حققت ما يتوخاه الناس بما كتبت الماماً وتلميحاً . وما غايتنا الا رفع شأن العرب و بعث الاسلام ، ندعو الى الوحدة والتماسك والاتحاد ، ونناديِ في بني قومنا بنبذ الاشرار واتباع الاخيار .

وليس يحزنني الا ما انتاب الامة من تفرق وضعف ووهن ، وما غشى على ابصارها من ضلالة وجهل ، ولـكنني وطيد الامل في أن الظفر معقود لها اذا تدبرت امرها ، ووعت تاريخها وشدّت من عزمها .

وقد اتممت هذه الرسالة خالصة لله وللحق ، وهي نتاج التجارب والحوادث والايام ، وثمار معالجة السياسة ومقارعة الحرب ، فان وفقت في ادائها فذلك جلّ ما ابتغي .

عبد الله بن الحسين

الفهرس

صفحة

الباب الاول

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الباب الثاني

الفصل الاول

الباب الثالث

الفصل الاول ، في القضايا الدولية

صفحة

الفصل الثاني

لكي لا ننسى

المطبعة التجارية — القدس